

العدد الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السنة الثامنة

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

صاحب الاشتراك

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

المسائل

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

فبراير سنة ١٩٥٣

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢

هذا القسم

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

لا ينبغي للمسلم أن يقف عند العبادات ولا يتجاوزها ، فمع أنها من الأهمية بالدرجة العظمى إلا أنها ليست كل شيء ؛ بل أصبح العابد الذي يقتصر على العبادة ويظن أن الله لم يكلفه غيرها أقرب إلى الإضرار بالدين مما يكون من سوء فعله في فتنة الناس عنه . فالتاجر الذي لا يكاد يفرغ من غش الناس حتى يتجه إلى المسجد لأداء الفريضة ، والموظف الذي يشعر بالاطمئنان لأنه يؤدي واجبه كاملاً ثم يأخذ في أثناء خروجه قلم رصاص أو بعض الأوراق التي تصرف له لأداء أعمال الحكومة أو الشركة أو المصنع الذي هو فيه ليستخدمها ابنه أو يستخدمها هو في شؤنه الخاصة ، والوالد الذي يهمل أولاده ولا يبذل كل عناية في تربيتهم ، والزوج الذي يظلم زوجته أو والدته ، والطبيب الذي يرى الداء ويعرف الدواء ولكنه يؤخر أسباب الشفاء حتى يستكثر من زيارة المريض ، والمدرس الذي يقصر في حق تلاميذه رغبة عن إفادتهم أو حتى يلزمهم بتلقي دروس خصوصية ، هؤلاء وغيرهم بعيدون عن الإسلام الصحيح كل البعد ،

العدد الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السنة الثامنة

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

المسئلون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

فبراير سنة ١٩٥٣

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢

هَذَا الْقُرْآنُ

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

لا ينبغي للمسلم أن يقف عند العبادات ولا يتجاوزها ، فمع أنها من الأهمية بالدرجة العظمى إلا أنها ليست كل شيء ؛ بل أصبح العابد الذي يقتصر على العبادة ويظن أن الله لم يكلفه غيرها أقرب إلى الإضرار بالدين عما يكون من سوء فعله في فتنة الناس عنه . فالتاجر الذي لا يكاد يفرغ من غش الناس حتى يتجه إلى المسجد لأداء الفريضة ، والموظف الذي يشعر بالاطمئنان لأنه يؤدي واجبه كاملاً ثم يأخذ في أثناء خروجه قلم رصاص أو بعض الأوراق التي تصرف له لأداء أعمال الحكومة أو الشركة أو المصنع الذي هو فيه ليستخدمها ابنه أو يستخدمها هو في شئونه الخاصة ، والوالد الذي يهمل أولاده ولا يبذل كل عناية في تربيتهم ، والزوج الذي يظلم زوجته أو والدته ، والطبيب الذي يرى الداء ويعرف الدواء ولكنه يؤخر أسباب الشفاء حتى يستكثر من زيارة المريض ، والمدرس الذي يقصر في حق تلاميذه رغبة عن إفادتهم أو حتى يلزمهم بتلقي دروس خصوصية ، هؤلاء وغيرهم بعيدون عن الإسلام الصحيح كل البعد ،

يصدون الناس عن الدين ويوحون إليهم بأن الدين لا يجدى في تربية النفوس ولا يقيم المتدينين على منهاج من الأخلاق . وليس الذنب في ذلك ذنب الدين وإنما هو ذنب الذين لا يفهمون الدين على حقيقته ويجعلونه هيكلًا عظيمًا لا روح فيه ولا لحم ولا دم ، وهم يحسبون أنهم بما أدوا من صلوات أو صوم أو حج يحسنون صنعاً .

إن في العبادات أسراراً قد نعلمها وقد لا نعلمها ، ويجب أن نتلقاها أمراً من الله مفروضاً علينا ؛ ومع ذلك فلنا أن نفكر فيها ، ونستكشف خباياها . ومن أسرار العبادات أنها تهيب النفس إلى احتمال المشقات والتكاليف التي كلف الله بها عباده ، وتخفف من ثقلها على الطبايع . اقرأ قوله تعالى لنبيه : « يا أيها المزمل ، قم الليل إلا قليلاً ، نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ، إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً^(١) » ؛ فمعلقة العبادة بتحمل التكاليف ظاهرة في هذه الآيات .

وما لم تؤد العبادات إلى هذه النتيجة كان أدائها غير محقق للأغراض التي قصدت منها . ومن الأغراض المقصودة — والله أعلم — أن يكون الإنسان على خلق ؛ فإن الأخلاق الفاضلة من أصعب الأمور ما لم تهيب لها النفس تماماً ، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لم يكن لدى الخلق فضل على غيره ؛ إذ اليسير من الأمر من الممكن إدراكه لكل إنسان .

ومن الأخلاق التي يرضى عنها الله أن يكون المسلم عزيزاً فلا يذل لأحد ولا يقبل ضيماً ، ولا يعتقد أن أحداً يستطيع أن يصله بشيء لم يأذن الله به ، ولا يحرمه شيئاً أراد الله له ؛ وصدق الله العظيم : « والله العزة لرسوله وللمؤمنين^(٢) » ، « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين . وإن يمسك الله بضرب فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم^(٣) » .

وهو مع عزته لين العريكة ، موطأ الأكناف من الدين يالفون ويؤلفون ، متواضع في غير ضعف ، مترفع في غير عنف ، يقول دائماً : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم^(٤) » . ويتبغى أن يكون المرء صادقاً ؛ فالصدق من الصفات التي عدها الله من موجبات ذكر الأنبياء فقال تعالى : « واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد^(٥) » .

(٢) المنافقون : ٨

(١) المزمل : ١ - ٥

(٥) مريم : ٥٤

(٤) فصلت : ٣٤

(٣) بونس : ١٠٦ ، ١٠٧

وأمرنا الله تعالى بأن نكون مع الصادقين فقال: «اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»^(١). والصدق يكون في القول ويكون في الفعل؛ فإذا وعدت إنساناً عدة فيجب أن تكون صادقاً فيما وعدت، قاصداً الوفاء، عاملاً له، ولا يصح أن يكون الوعد بقصد التخلص من موقف، أو دفع إلاح، أو إرضاء لحاظ أحد من الناس. وإذا تحدثت بشيء فلا تتحدث بما يتنافى مع الحقيقة التي تعلمها وتعتقد بها. وإذا استنصحتك أحد فاصدق في نصحه، ولا تجعل نصحك مشوباً بالهوى أو الغرض وإلا كنت غاشاً مخادعاً.

وإذا عملت عملاً فكن صادق العزم على القيام به على وجهه الصحيح، موفياً حق طالبه، صادقاً فيما تطلب من حقه. حدثت بحديث في شأن صدق الوعد واعتباره قيلاً لا ينفك عنه الإنسان لا بأس من أن أسوقه للدلالة على ما تنطوي عليه النفوس الكبيرة من الخير: ذلك أن أحد رؤساء الوزارة في التاريخ الحديث — ولم يكن مشهوراً بالتدين — باع قدرًا من الأطنان لشخص ما، ووعدته بالتوقيع على العقد بعد أن يهيأ. وفي هذه الأثناء جاءه شخص آخر يريد شراء هذه الأطنان فأخبره بأنه باعها فلان، فعرض عليه ثمنًا يزيد نحو عشرين ألفاً من الجنيهات وقال: له إنك لم توقع العقد، فقال: إن كلامي عقد، فاذهب إلى المشتري وادفع له الفرق وافق معه وأنا أمضى العقد لأيكما. وكانت هذه الحادثة مدار مقارنة بين هذا الذي لم يشتهر عنه التدين وبين بعض المتدينين أو العلماء الذين يفرض فيهم الاستفادة من الدين.

ومن الصفات العظيمة التي يفتقدها الإنسان في الناس الأمانة: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»^(٢)، «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً»^(٣). ومن أقوال الرسول عليه السلام: أربع من كن فيه كان منافقاً، وذكر منها: إذا أؤتمن خان.

وليست الأمانة قاصرة على شيء دون شيء فكما يكون الإنسان أميناً على المال يكون أميناً على كل شيء كلف بواجب نحوه؛ فالزوج أمين على زوجته، والوالد أمين على عياله، والطبيب أمين على المريض، والمدرس أمين على تلاميذه، وأنت أمين على العلم الذي بين جنبيك وهكذا...

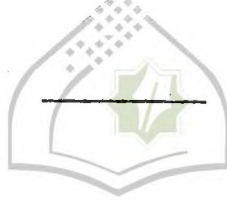
إن هذا الخلق من أعظم الأخلاق ونحن نفتقده بيننا فلا نكاد نجد له أثراً عند كثير

من الناس، مع أن فوائده كفيلا بأن يهدم دولا بأسرها. وفكر في الأمر بين أن يأخذ الإنسان نفسه بالأمانة في كل ما وجب عليه، وبين أن يترخص فيها ويلقي بها ظهريا وينطلق وراء أهوائه تجدد أثر ذلك بالغا، وعواقبه من أسوأ العواقب.

أردت بكتابة هذه الكلمات أن أنبه إلى أن كمال المسلم لا يتم بالعبادات وحدها؛ بل يجب أن يكون مشتغلا على الأخلاق القرآنية العظيمة متبعا لها، عاملا بها، حريصا عليها. وهذا هو الذي يميزه عن غيره؛ إذ يجب أن يكون المسلم ممتازا عن غيره في كل شيء. وهذا التميز لازم للإسلام لأنه من رب العالمين وكل ما فيه صحيح وضعه خالق الخلق العليم بما تصلح به أحوالهم. وإن في آيات القرآن كثيرا من أمثال ما ذكرت؛ ولكنني اقتصر على أنه أولى بالتنبيه من غيره :

العزة — الصدق — الأمانة

افضائل تستأهل الحرص عليها، والله يوفقنا ويهدينا سبيل الرشاد.



كل مصيبة بعدك جليل

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون عن إسماعيل بن محمد عن سعد بن أبي وقاص قال :

«مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد؛ فلما نعوها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .»

قالوا : خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين .

قالت : لرونيه حتى أنظر إليه .

فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جليل ! (تريد صغيرة) .

« سيرة ابن هشام »

قَصَصُ الْفُرَّانِ

آدم عليه السلام

عرض وتحليل للأستاذ البهي الخولي
الغرائز بين الفتون والرشد

« ولقد عهدنا إلى آدم من قبل ، فَنَسِيَ ولم نجد له عزما (١) » .
في هذه الآية الكريمة يذكر الحق تبارك وتعالى أن النسيان وامتدح العزم هما سببا
هبوط المرء إلى الفتنة والمعصية .
ومن مضمون الآية الكريمة أيضا أن التذكر وانعقاد العزم هما سببا صعود المرء
إلى الرشد والخير .

والمصعود والهبوط — في هذا المقام — أمران مغنويان لا يدركان بالحس
ولا يضبطان بالمشاهدة . . . وما لم يكن هناك قياس يُعرف به الصعود والهبوط ؛
أو ما لم يكن هناك مثل أعلى ينسب إليه سلوك المرء ، وتقاس به الأقوال والأفعال ، فيعرف
الصالح والفساد ، والطيب والحديث ، فإن السبل تنهم ، والأعمال تختلط ، والقيم
تتشابه ، ويصبح المحسن والمسيء في ميزان تلك الفوضى متماثلين في الجزاء والتقدير . . .
لذا نرى الآية الكريمة قد تضمنت الإشارة إلى ذلك القياس أو ذلك المثل الأعلى
إذ قالت : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل . . . » فعهد الله سبحانه من أمر أو نهى
هو المرجع الذي يرجع إليه ليعرف على ضوءه صعود الأعمال أو هبوطها ؛ حسنها
أو قبحها ؛ خيرها أو شرها . . .

فنجن — إذا — بإزاء أمور ثلاثة تقرر بها الآية الكريمة بشأن الصلاح والفساد هي :
عهد الله الذي يصف لنا الخير فنتبعه ، والشر فنجتنبه . .

نسيان العهد أو ذكره .

امتحاء العزم أو انعقاده .

أولاً : العهد

أما العهد في القصة فهو أمر الله الذي حرم به على آدم وزجه الأكل من الشجرة ... وأما بالنسبة إلى سائر الناس فإن كل أمر أو نهى منه جل ثناؤه يعتبر عهداً . . . وأوثق ما بيننا وبينه سبحانه من عهود وأجمعها وأبقاها عهد الربوبية الذي أقرت به الفطرة منذ الأزل في قوله تعالى : « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . . . الآية (١) » .

وعهد الله سبحانه إلى الإنسان من أمر أو نهى ، ليس منابذاً لما في فطرته ، ولا غريباً عنه ؛ بل هو سر مجانس لروح تلك الفطرة ، ونور من مصدر نورها الأول ؛ يزيد به الخير ، ويتضح به الحق ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء .. وكل إنسان — بما نفخ الله فيه من روحه — أهل لأن يتلقى عهد الله ، ويعمله ويعمل به . . . وسر ذلك الروح في كيانه هو العهد الذي يتلقف بين أعطافه كل ما ينزل الله جل شأنه من وحى ورسالة .

ولقد بينا في غير موضع مما سبق أن ذلك الامتياز هو اسمى ما فضل به الإنسان على كثير ممن خلق الله فهو عقله الروحي الذي يدرك به قيم المعاني ، وحقائق ما أنزل إلينا الله سبحانه من عهد .

والمرء بخير ما دام يصدر في حياته الواقعية عن نور هذا العقل .

ولقد ذكرنا فيما مضى أن للإنسان عقليين : أحدهما روحي ، والآخر منطقي وإن شئت فقل : إن عقل الإنسان ذو صفتين ، إحداهما منطقية ، تنظم لنا علاقة الأشياء بعضها ببعض في عالم المحسّات والأخرى روحية هي البصيرة التي يكشف بها الإنسان كيف يجعل كل شيء في هذا العالم الحسى متسقاً مع أغراض اللثل العليا ، وخادماً لها أو معيناً عليها .

ولو حلّى الإنسان إلى عقله هذا الروحي لاستقام على أقوم سبيل إلى مثله العليا . . . ولكنه امتحن في ذلك بما بث في بشريته من ميول أو قوى أو غرائز أو بعبارة

أصبح امتحن بقابلية هذه الفرائر للانحراف عن هداية العقل الروحي إلى ما يزين الشيطان من غرور وأهداف لا حقيقة لها وقد رأينا — فيما تقدم — كيف أن الشيطان حين سؤل لآدم عليه السلام أن يأكل من الشجرة ، لم يأت به من قبل نور الله فيه ؛ بل جاءه من قبل غرائزه يحدّثها عن لذة الخلود والملك الذي لا يلى ، حتى تحولت عن عهد الله إلى ما أراد لها من المعصية .

ثانياً: النسيان

وقد رجعنا إلى ما كتبه المفسرون عن النسيان المسند إلى آدم عليه السلام ، فلم نجد فيه ما ينفع غلة أو يشفى علة — كما يقولون — نعم لم نجد في كلامهم ما يبين لنا كيف تكون المعصية مع النسيان ؟ . أو كيف يكون فعل الناسى معصية ، مع أن الله قد رفع عن عباده الخطأ والنسيان ، وهو سبحانه أجل من أن يعاقب على شيء منه ؟ .. فرجعنا إلى القرآن الكريم نفسه فوجدنا النسيان يدور فيه على عدة معان أهمها وأبرزها الوجوه الآتية .

١ — النسيان الذى يطرأ فى الذهن على الحوادث وأسماء الأشخاص ، وما يكون المرء قد حفظ من المقررات العلمية وهو تقيض الذكر ؛ ومثاله قوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى ^(١) » .

وهذا الضرب من النسيان ليس معنا ؛ إذ لا يقال إن آدم أكل من الشجرة وليس فى ذهنه شيء من أمر الله ونهيه ؛ فإن الشيطان قال له : « ما نها كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » . أى أنه ذكره نهى الله ، وأعادته على ذهنه ؛ فلا محل لأن يقال إنه عليه السلام أكل وهو ناس .

٢ — النسيان الذى ينطوى على معنى السهو ، كما ينسى الإنسان عصاه أو مسبخته فى مكان ما ، أو كما يريد أن يتكلم مع شخص ما فى عدة أمور ، فيتكلم عن بعضها ويسهو عن بعض ، فلا يذكره إلا فيما بعد ومثاله ما حكاه الله سبحانه عن فتى موسى عليه السلام إذ قال : « رأيت إذ أؤينا إلى الصخرة ، فإنى نسيت الحوت . . . الآية ^(٢) » وقول موسى للعبد الصالح عليهما السلام : « لا تؤاخذنى بما نسيت ^(٣) » .

(١) الأعراف : ٦

(٢) الكهف : ٦٤

(٣) الكهف : ٧٣

وكذلك نستبعد أن يكون هذا الضرب من النسيان معنا ؛ فإن السهو يكفي للتنبيه منه أقول إشارة أو حركة أو كلمة .. ولا يعقل أن يكون آدم أكل من الشجرة ساهيا بعد أن ذكره الشيطان بما ذكره به .

٣ ، ٤ — وثم ضربان من النسيان بمعنى ذهاب الاهتمام بالشئ ؛ ومثله في القرآن قوله سبحانه : « نسوا الله فنسيهم » (١) .

فالنسيان المسند إليهم معناه ذهاب اهتمامهم بأمره سبحانه ؛ فإن أحد هؤلاء قد يأخذ في لهو الحديث ويشغل بالباطل من الغايات ؛ فإذا ذكرته بأمر الله لا ترى عليه من هزة الاهتمام مثل ما ترى له حين تنبهه أن يأخذ عصاه أو مسبحته التي نسيها ؛ بل ترى آثار التهاون وقلة المبالاة التي تدل على أن عقدة العهد قد انحلت من ضميره ، وبردت الغيرة عليه في قلبه فهو — إذا — من نسيان القلوب ، لا من نسيان العقول ، إذا صحت هذه التسمية ، وساعت تلك التفرقة !!

أما النسيان المسند إليه سبحانه ، فليس من نسيان القلوب — حاشا — ولا من نسيان العقول ؛ إنما معناه أنهم لما نسوا الله ، وزال اهتمامهم بأمره ، صرف عنهم فضله الذي لا يستغنى عنه أحد ، ووكّلهم إلى نفوسهم وإلى ما أعدّ لهم من عذاب ؛ ومنه قوله سبحانه : « فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون » (٢) . . . ولا يعقل في حق الله سبحانه غير هذا المعنى ، إذ لا يطرأ عليه جل شأنه ما يطرأ على العباد ؛ ولقد قرر القرآن ذلك بأوضح لفظ وأوفاه إذ قال : « لا يضل ربي ولا ينسى » (٣) « وما كان ربك نسيا » (٤) . . .

ومن البديهي أن النسيان المسند إلى آدم حين أكل من الشجرة ، ليس من قبيل النسيان المسند إلى الله جل شأنه فلم يبق إلا أنه من قبيل النسيان المسند إليهم بمعنى صيرورة القلب إلى لحظة من الفتور عن أمر الله سبحانه .

وقد قلنا إن الشيطان لا يأتي الإنسان من قبل صوابه الروحي ، فهو أعجز من أن يواجه هذا النور ، بل يأتيه من جانبه المطاوع — جانب الفرائز — وهو جانب يملك الاستجابة . . . ولا يملك التمييز !!

يملك الاستجابة لأي نداء . . . من الملك أو الشيطان . . . من الله أو من غير الله !!

(٢) السجدة : ١٤

(٤) مريم : ٦٤

(١) التوبة : ٦٨

(٣) طه : ٥٢

وليس له رشد يميز به ما يسمع من نداء ، ولا ما يدعى إليه من غاية ... إذا اتجه إلى الحق اتجه إليه دون تمييز له ... وإذا انحرف إلى الباطل ، انحرف دون تدبر لقيمته ... فهو أذن سميعة ؛ وحركة مطيعة ... وليس عينا تبصر ، ولا عقلا يدبر !

فإذا سول الشيطان لتلك الغرائز أمراً من الأمور ؛ أو زين لها غاية من الغايات — وهو لا يزين لها إلا ما تحبه — لانت لسماعه ، ومالت إلى متابعتها ... وكان لها من اللذة الحاملة ؛ والسريان العذب ؛ والإغراء المطمع ، ما يجعل القلب يستحب الركون إليه ؛ ويأنس لمطاوعته والمزيد منه ؛ وينصرف بالتدرج عما لديه من أمر الله ؛ حتى يغدو مشغولاً بنحواطر جديدة ، وآماله غير التي كان يتعلق بها ، وغايات غير التي كان يرسمها له إيمانه بالله ... وذلك هو النسيان القلبي !

ونسيان القلب لعهد من عهود الله ، ليس معناه زوال هذا العهد من القلب ؛ بل معناه أن قيمة أخرى لاحت له بتزيين الشيطان ، فأخذ يوازن بين القيمتين ؛ ويقايس بين الطرفين ؛ حتى مال إلى الجانب المعارض لأمر الله ، فصرف إليه همهته ، وعبأ له جهوده ... وترك عهد الله في زاوية من زوايا القلب ، كالشيء الذي أدركه النسيان في شعبة من شعاب الذاكرة ...

وحقيقة هذا النسيان ولبه أن تفقد الفضائل والمثل العليا قيمتها في نظره ... وبعد أن كان كل شيء في عالم المحسّات متسقاً مع أغراضها ؛ وخادماً لها أو معيناً عليها ، ينعكس الوضع ، وتصبح تلك الأشياء الحسية هي المثل الأعلى الذي يجب أن يخدمه ويتسق مع أغراضه كل قيمة من القيم وكل فضيلة من الفضائل ... وذلك هو منهاج كل فتنة في الأرض وفساد كبير .

ثالثاً : العزم

أما الأمر الثالث في الآية الكريمة فهو قوله جل ثناؤه : « ولم نجد له عزماً » . والعزم على ما ورد في كتب اللغة يتناول عدة أمور لا يهمننا منها — في هذا المقام — سوى معنيين اثنين :

الأول : العزم بمعنى انعقاد الضمير على فعل أمر من الأمور ، وتوفير الإرادة له ... فكأنه بهذا المعنى ضد النسيان القلبي الذي أشرنا إليه آنفاً ... فإذا ظل القلب على عقده وعزمه فهو ذا كر ... وإذا انحلت عقده ؛ وماعت إرادته فهو ناس لا محالة ...

أما المعنى الآخر : فهو العزم بمعنى المضي فعلا فيما انعقد عليه الضمير ؛ والاجتهاد في إنفاذه ، والصبر على ما يعترض طريقه من مشقه وأذى .

وامتحاء العزم هو الآفة التي تترتب لاحالة على النسيان القلبي . ١
وقد قلنا إن عهد الله سبحانه لا يزال قلب المرء حين طروء النسيان عليه ؛ بل يظل قائما في زاوية من زواياه ... لا يرى منه سوى صورته ... أما حرارته وروحه القوى للنهض ، فلا يصل إليه شيء منه .

ومن هنا ترى الكثيرين يحسنون الكلام عن المثل العليا ، دون أن يؤثر عن أحدهم أنه نهض فعلا بحق ما يتحدث به ، وذلك بعض ما صدق به الشيطان ظنه على كثير من الناس إذ أقسم بين يدي الله سبحانه قسمة الذي يقول فيه : « ولأصلتهم ، ولأمنيتهم » .

أما الإضلال ، فقد مضى معناه .

وأما التمنية فهي تلك الحالة التي يكون المرء فيها على علم بما جاءه من الله ، دون أن يكون له نهضة إلى تحقيق شيء منه ، كأنما أصابه الشيطان بكساح العزيمة ؛ وليس هؤلاء من حقيقة الإيمان في شيء ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ... إن قوما ألهمتهم أمانى المغفرة ، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحسن الظن بالله ؛ وكذبوا ؛ لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له » .

وقال الزمخشري في تفسير قوله سبحانه (يعدم ويمنيهم) : « وإذا أبطل الله الأمانى ، وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل ، وأن من أصلح عمله فهو الفائز ... ومن أساء فهو الهالك ، تبين الأمر ، ووضع وجوب قطع الأمانى ، وحسم الطامع ، والإقبال على العمل الصالح ... ولكنه نصح لاتباعه الآذان ، ولا تُلقي إليه الأذهان » (١) .

(١) بمدر كتاب آدم عليه السلام للأستاذ البهي الحولى قريبا — بإذن الله — بعد أن زالت الأسباب الطارئة القاهرة التي حالت دون صدوره حتى الآن .

السُّنَّة

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي

(٢)

علم مصطلح الحديث :

وكان من ثمار تلك الحركة التي قام بها العلماء لمقاومة الوضع ولادة علم « مصطلح الحديث » وهو العلم الذي يضع القواعد العلمية لتصحيح الأخبار ، وهي في الحق أصح ما عرف في التاريخ من قواعد علمية لنقد الأخبار والروايات ، وكان لعلنا نرحمهم الله نخر السبق إلى وضع هذه القواعد على أساس علمي في منتهى الحيلة والتثبت ، وقد نهج على نهج علماء الحديث علماء السلف في الميادين العلمية الأخرى كالتاريخ والفقه والتفسير واللغة والأدب وغيرها ، فكانت المؤلفات العلمية في العصور الأولى مسندة في كل مسألة بالسند المتصل إلى قائلها ، حتى إن كتب العلماء ذاتها تناقلها الناس عنهم بالسند المتصل جيلا بعد جيل ، فنحن لا نشك في أن صحيح البخاري التداول الآن بين المسلمين ألفه الإمام البخاري وأن نسبته إليه نسبة ثابتة مؤكدة ، لأنه روى عنه بالسند المتصل جيلا بعد جيل ، ولا يزال المعنيون بأخذ الرواية عن العلماء يروونه بالسند المتصل إلى الإمام البخاري ، ولي إجازات عدة عن شيوخ لي من دمشق وحلب والهند وغيرها أروى فيها أوائل الكتب الستة بالسند المتصل إلى أصحابها ، وهذه ميزة لا توجد في مؤلفات العلماء من الأمم الأخرى ، حتى إن كتبهم المقدسة منقطعة السند لا تروى بالسمع المتصل إلى واضعها .

وعلم مصطلح الحديث يبحث — كما رأينا في المقالات السابقة — عن تقسيم الخبر إلى صحيح وحسن وضعيف ، وتقسيم كل منها إلى أنواع ، مع بيان الشروط المطلوبة في الراوي والمروى وما يدخل الأخبار من علل واضطراب وشذوذ ، وما يتوقف فيها إلى أن تعضد بمقويات أخرى ، وبيان أحوال سماع الحديث وتحمله وضبطه وآداب الحديث وطالب الحديث وغير ذلك مما كان في الأصل بحثاً متفرقة وقواعد قائمة في نفوس العلماء في القرون الثلاثة الأولى ، إلى أن أفرد بالتأليف والجمع والترتيب شأن العلوم الإسلامية الأخرى في تطورها وتدرجها .

وكان أول من ألف في بعض بحوثه « على بن المديني » (٢٣٤) شيخ البخاري ، كما تكلم البخاري ومسلم والترمذي في بعض أبحاثهم في رسائل مجردة لم يضم بعضها إلى بعض ، ثم كان أول من صنف في هذا الفن تصنيفاً علمياً بحيث جمع كل أبوابه وبحوثه في مصنف واحد هو القاضي أبو محمد الرازي (٣٦٠) في كتابه « المحدث الفاصل بين الراوي والسامع » لكنه لم يستوعب فيه كل بحوث هذا العلم ، ثم جاء بعده الحاكم أبو عبد الله النيسابوري (٤٠٥) فألف فيه كتابه « معرفة علوم الحديث » ، لكنه لم يهذب ولم يرتب ، ثم تلاه أبو نعيم الأصفهاني (٤٣٠) فألف كتاباً تأثر فيه بكتاب الحاكم النيسابوري وزاد عليه أشياء ، ثم جاء بعدهم الخطيب البغدادي (٤٦٣) فصنف في قوانين الرواية كتاباً سماه « الكفاية » ، وفي آدابها كتاباً سماه « الجامع لأدب الشيخ والسامع » ثم جاء من بعده القاضي عياض (٥٤٤) فألف كتابه « الإلماع » مستمداً بحوثه من كتب الخطيب ، ثم جاء الشيخ الحافظ تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح الدمشقي (٦٤٢) فألف كتابه المشهور « مقدمة ابن الصلاح » أملاه على تلاميذه بالمدرسة الأشرفية في دمشق من غير ترتيب محكم ، إلا أنه كتاب شامل لكل ما تفرق في غيره من كتب المتقدمين ؛ ولهذا عكف الناس عليه وأكبوا على شرحه بين ناظم ونائر كآلفية العراقي وشرحها للسخاوي ، كما اختصره الإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤) في كتابه « الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث » .

وتوالى التأليف بعد ذلك حتى كان آخر من كتب في هذا الفن من العلماء المحققين الشيخ طاهر الجزائري (١٣٣٨) في كتابه « توجيه النظر » والشيخ جمال الدين القاسمي (١٣٣٢) في كتابه « قواعد التحديث » وهو كتاب ذو فوائد جمة وترتيب مفيد .

علم الجرح والتعديل

ومن ثمار هذه الجهود المباركة « علم الجرح والتعديل » أو علم ميزان الرجال ، وهو علم يبحث فيه عن أحوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان ، وهو علم جليل من أجل العلوم التي نشأت عن تلك الحركة الميمونة لانعرف له مثيلاً أيضاً في تاريخ الأمم الأخرى ، وقد كان العلماء يختبرون الرواة بأنفسهم ممن يعاصرونهم ويسألون السابقين عنهم لم يعاصروهم ، يعلنون رأيهم فهم دون تخرج ولا تأثم إذ كان ذلك ذباً عن دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،

وقد قيل للبخارى : إن بعض الناس ينقمون عليك « التاريخ » يقولون : فيه اغتيال الناس ، فقال : إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بئس أخو العشيرة » .

ولم يكن الأئمة الذين عنوا بهذا الفن على استواء واحد في مقاييس النقد الذى يوجهونه للرواة ، بل كان منهم المتشدد كابن معين والقطان وابن حبان وأبى حاتم الرازى ، ومنهم المتساهل كالترمذى والحاكم وابن مہدى ، ومنهم المعتدل كأحمد والبخارى ؛ وبذلك تباينت الآراء فى بعض الرواة ، فمنهم من يوثقه ، ومنهم من يضعفه ، وقد ينقل عن العالم الواحد رأيان مختلفان فى راو واحد ، فقد يراه اليوم ثقة ثم يرى منه بعد ذلك ما يضطره للعدول عن حكمه ، وقد يكون الأمر عكس ذلك .

ومن أسباب الاختلاف فى التجريح والتعديل اختلاف منازع الفقهاء فى الاجتهاد ، فالنزاع بين أهل الحديث وأهل الراى مشهور معروف أدى إلى أن يطعن بعض أهل الحديث فى بعض أئمة أهل الراى وأن يعدوهم من الضعفاء ، لا لشيء غير نزعتهم الاجتهادية التى لا تتفق مع نزعة أهل الحديث ، وحسبك دليلاً على هذا أن إماماً جليلاً من كبار أئمة التشريع فى تاريخ الإسلام وهو أبو حنيفة رحمه الله ، تحامل عليه كثير من المحدثين ، وجرحه بعض علماء الجرح والتعديل مع زهده وورعه وتقواه وجلالة قدره ، وما ذلك إلا لدقة طريقته العلمية فى فهم النصوص واستنباط الأحكام مما خفى على كثير من المحدثين بل كثير من كبار أئمتهم ، وقد أدى تعصب العامة عليه من أهل الحديث إلى أن يتهموه بما يقطع التاريخ بكذبه .

ولعل هذا الاختلاف فى ميول الناقدين وأنظارهم وتفاوتهم فى الشدة والتساهل ، هو الذى دعا أكثر العلماء إلى أن لا يقبلوا جرحاً إلا أن يكون مفسراً خشية أن ينشأ الجرح عنى خطأ فى تقدير الناقد أو عصبية مذهبية ، قال الحافظ ابن كثير : « بخلاف الجرح فإنه لا يقبل إلا مفسراً لاختلاف الناس فى الأسباب المفسدة ، فقد يعتقد الجراح شيئاً مفسقاً ولا يكون كذلك فى نفس الأمر أو عند غيره ، فلهذا اشترط بيان السبب فى الجرح (١) » .

ومن طريف ما يذكر فى هذا الموضوع ما نقل عن بعضهم أنه قيل له : « لم تركت حديث فلان ؟ فقال : رأيت بركض على برذون فتركت حديثه » . . . وسئل بعضهم عن

حديث يرويه صالح المري ، فقال : ما يصنع بصالح ؟ ذكروه يوما عند حماد بن سلمة فامتخط حماد ! (١) .

فانظر كيف كان بعض الناس يجرحون الرجال لأسباب واهية لا علاقة لها بالعدالة والثقة والضبط ، ولكن الحق أن هذا صنيع الجاهلين أو المتطفلين على هذا العلم ، أما الأئمة المنتصبون لهذا الشأن العريقون في مداخله ومخارجه فلا يقعون في مثل ذلك الحكم الجائر والنقد المضحك .

وقد ابتدأ الكلام عن الرواة توثيقاً وتوهيناً منذ عصر صفار الصحابة كابن عباس (٦٨) وعبادة بن الصامت (٣٤) وأنس بن مالك (٩٣) ثم كان من التابعين سعيد بن المسيب (٩٣) والشعبي (١٠٤) وابن سيرين (١١٠) والأعمش (١٤٨) ثم تتالى الأمر بعد ذلك فكان شعبة (١٦٠) مثبِتاً لا يروى إلا عن ثقة ، وكان الإمام مالك (١٧٩) وهو من تعرف .

وفي أوائل القرن الثالث الهجري ابتدأ تصنيف الكتب في الجرح والتعديل؛ ومن أوائل من ألفوا وتكلموا : يحيى بن معين (٢٣٣) وأحمد بن حنبل (٢٤١) ومحمد بن سعد صاحب الطبقات (٢٣٠) وعلي بن المديني (٢٣٤) ثم تلامم البخاري ومسلم وأبو زرعة الرازي (٢٦٤) وأبو حاتم الرازي (٢٧٧) وأبو داود السجستاني (٢٧٥) .

وتتابع العلماء بعد ذلك حتى أواخر القرن التاسع الهجري طبقة بعد طبقة حتى لا يسر عليك أن تجد في مؤلفاتهم تاريخ أى رجل يمر بك اسمه في كتب الحديث .

وكتب الجرح والتعديل أصناف : منها ما أفرد له ذكر الثقات فقط ككتاب الثقات لابن حبان البستي (٣٥٤) ومنها ما أفرد للضعفاء فقط ومن ألف فيهم البخاري والنسائي وابن حبان والدارقطني (٣٨٥) والعقيلي (٣٢٢) وابن الجوزي (٥٩٧) ، ومنها ما جمع فيها بين الثقات والضعفاء ومن أشهرها تواريف البخاري الثلاثة : الكبير وهو مرتب على حروف المعجم ، والأوسط والصغير وهما مرتبان على السنين ، وكتاب الجرح والتعديل لابن حبان ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (٣٢٧) والطبقات الكبرى لابن سعد ، ومن أجود الكتب في ذلك « التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » للحافظ ابن كثير جمع فيه بين تهذيب المزي وميزان الذهبي مع زيادات وتحرير في العبارات وهو أنفع شيء للمحدث والفقهاء التالى لأثره (٢) .

مِنْ عِلْمِ السُّنَّةِ

فِي الْبَيْعِ وَالْكَسْبِ وَالْمَعَاشِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّجَارَةِ

لِفَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبُنَا

(٧)

بَابُ مَا بَاءَ فِي بَيْعِ الْخَمْرِ وَالنَّجَاسَةِ وَمَا لَا نَفْعَ فِيهِ

١ — عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ — وَهُوَ بِمَكَّةَ —
وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ قَالَ عَامَ الْفَتْحِ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخَزِيرَةِ وَالْأَصْنَامِ » فَقِيلَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهُ يُذْهَنُ بِهَا الشُّقْنُ وَيُذْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ ،
وَيَسْتَصْبِحُ^(١) بِهَا النَّاسُ ، قَالَ : « لَا ، هُوَ حَرَامٌ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ : « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ ؛ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهَا
الشُّحُومَ جَمَلُوهَا ثُمَّ بَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَمْنَانَهَا » .

٢ — عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ
فِي الرِّبَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَحَرَّمَ التَّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ .

٣ — عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ
وَسَلَّمَ مُسْتَقْبِلًا الْحَجَرَ^(٢) قَالَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَضَحِكَ ، ثُمَّ قَالَ : « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ
حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَمْنَانَهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا حَرَّمَ عَلَى
قَوْمٍ أَكَلَ شَيْءٌ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنُهُ » .

(١) أَيْ يَجْمَلُونَهَا فِي سُرْجِهِمْ وَمَعَابِيحِهِمْ يَسْتَفِيتُونَ بِهَا .

(٢) يَمْنَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ .

٤ — عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْبُنَائِي قَالَ : كُنْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَشْتَرِي هَذِهِ الْحِيطَانَ^(١) تَكُونُ مِنْهَا الْأَعْنَابُ فَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَبِيعَهَا كُلَّهَا عَنَابًا حَتَّى نَعْصِرَهُ . قَالَ : فَعَنْ ثَمَنِ الْخَمْرِ تَسْأَلُنِي ؟^(٢) ، سَأَحْدُثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَكَبَ^(٣) وَنَكَتَ فِي الْأَرْضِ^(٤) وَقَالَ : « الْوَيْلُ^(٥) لِبَنِي إِسْرَائِيلَ » ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَقَدْ أَفْرَزْنَا قَوْلَكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَ : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْ ذَلِكَ بَأْسٌ^(٦) ، إِنْهُمْ لَمَّا حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَيُذَيَّبُونَ فَيَبِيعُونَهُ فَيَأْكُلُونَ ثَمَنَهُ ، وَكَذَلِكَ ثَمَنِ الْخَمْرِ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » .

٥ — عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ الثَّقَفِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ بَاعَ الْخَمْرَ فَلْيُشَقِّصْ^(٧) الْخُنَازِيرَ : يَعْنِي يُقَصِّبُهَا » .

٦ — عَنْ نَافِعِ بْنِ كَيْسَانَ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ يَتَجَرَّ بِالْخَمْرِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّهُ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ وَمَعَهُ خَمْسٌ فِي الزَّقَاقِ^(٨) يَرِيدُ بِهَا التَّجَارَةَ ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُكَ بِشَرَابٍ جَيِّدٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « يَا كَيْسَانُ إِنَّهَا قَدْ حُرِّمَتْ بَعْدَكَ^(٩) » . قَالَ : أَفَأَبِيعُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :

(١) جمع حائط ، والمراد به هنا البستان من النخيل والأعْنَاب إذا كان عليه حائط وهو الجدار .

(٢) استفهام لإنكارى .

(٣) أكب : أى طأطأ رأسه إلى الأرض .

(٤) أى أثر فيها بأصبعه .

(٥) الويل : الهلاك والمشقة في العذاب .

(٦) أى حرج .

(٧) أى يقطعها كما تقطع الشاة إذا بيع لحمها .

(٨) الزقاق : جمع زق بكسر الزاى ؛ وهو السقاء أو جلد يحز ولا ينتفخ يستعمل للشراب

وغيره كالقربة .

(٩) أى بعد ما فارقتنا .

« إِنَّهَا قَدْ حُرِّمَتْ وَحُرِّمَ ثَمْنُهَا » ، فانطلق كَيْسَانُ إِلَى الزَقَاقِ فَأَخَذَ بِأَرْجُلِهَا
ثُمَّ أَهْرَاقَهَا^(١) .

٧ - عن عبد الرحمن بن وَعْلَةَ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ
بَيْعِ الْحُمْرَةِ فَقَالَ : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صَدِيقٌ مِنْ ثَقِيفٍ أَوْ مِنْ
دَوْسٍ فَلَقِيَهُ بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ بِرَأْوِيَةٍ^(٢) خَرَجَ يُهْدِيهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا فَلَانٍ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا » ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى
غُلَامِهِ فَقَالَ : أَذْهَبَ قَبْعُهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا فَلَانٍ
بِمَاذَا أَمَرْتَهُ ؟ » قَالَ : أَمَرْتُهُ أَنْ يَبِيعَهَا ، قَالَ : « إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا »
فَأَمَرَ بِهَا فَأُفْرِغَتْ فِي الْبَطْحَاءِ^(٣) .

٨ - عن عبد الرحمن بن غَنَمٍ الْأَشْقَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ الدَّارِيَّ^(٤) كَانَ
يُهْدِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلَّ عَامٍ رَأْوِيَةً مِنْ خَمْرِ ، فَلَمَّا كَانَ
عَامَ حُرْمَتِ فِجَاءِ بِرَأْوِيَةٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ ،
قَالَ : « هَلْ شَعَرْتَ أَنَّهَا قَدْ حُرِّمَتْ بَعْدَكَ » ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَفَلَا أُبِيعُهَا
فَأَنْتَفِيعُ بِثَمْنِهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ أَنْطَلَقُوا
إِلَى مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَحُومِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ فَأَذَابُوهُ فَجَعَلُوهُ ثَمَنًا لَهُ ، فَبَاعُوا بِهِ
مَا يَأْكُلُونَ ، وَإِنْ الْخَمْرَ حَرَامٌ وَثَمْنُهَا حَرَامٌ ، وَإِنْ الْخَمْرَ حَرَامٌ وَثَمْنُهَا حَرَامٌ ، وَإِنْ
الْخَمْرَ حَرَامٌ وَثَمْنُهَا حَرَامٌ » .

(١) أى أفرغها على الأرض .
(٢) هى ما يحمل فيه الماء ، وسُميت رأوية لأنها تروى صاحبها ومن معه .
(٣) أى بطحاء مكة وهو مسيل وادئها .
(٤) أى تميم الدارى رضى الله عنه .

الربا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

«أهدى هذا البحث إلى طلبة كلية الحقوق برمسوه»

(٢)

أيها الأبناء الأعزّة :

١١ — بيّنا فى الجزء السابق من بحثنا أن الربا الذى ثبت تحريمه قطعاً بدليل لاشبهة فيه هو الربا الذى جاء القرآن الكريم بتحريمه ، ونطقت الآيات بأن التوبة منه أن يكون للدائن رأس المال فقط من غير أن يُظلم ولا أن يُظلم ، وأجمع العلماء على أن ربا القرآن هو ربا النسيئة ، وهو الذى تكون الزيادة فيه فى نظير الأجل طال أو قصر ، وقلّت الزيادة أو كثرت ، فإن ذلك النوع من الربا هو الذى أجمع العلماء على تحريمه ، ومنكر التحريم فيه منكر لأمر عرف من الدين بالضرورة ، وثبت فيه ثبوتاً قاطعاً لاشك فيه ؛ ولذا قال فيه أحمد رضى الله عنه ، وهو إمام السّنة وناقل علم السلف الصالح كله : إنه الربا الذى لاشك فيه ، ولم يختلف فيه أحد .

١٢ — وإن تحريم ذلك النوع من الربا هو الفطرة ، وهو النظام الاقتصادى السليم ؛ أما كونه الفطرة فقد ذكره أرسطو فى كتابه « السياسة » فقد جاء فيه مانعه : « كان حقاً علينا أن نستنكر الربا ، لأنه طريقة كسب تولدت عن النقد نفسه ، وهى تمنعه مما وجد لأجله ؛ لأن النقد لا ينبغى أن يكون إلا للمعاوضة والربح منها . والفائدة أو الربا هى نقد تولد عن نقد . وهذا النوع من الكسب هو من بين ضروب الكسب كلها الكسب المضاد للطبيع » .

فأرسطو يرى أن الربا كسب مضاد للفطرة المستقيمة ؛ لأن النقود إنما خلقت لتكون مقاييس للسلع وضوابط لقيمتها ، وطريقاً لجلبها ، وليست وحدها منتجة شيئاً ؛ لأن النقد لا يلد النقد ؛ ولأن كونها وحدة للتقدير يجعل الأصل فيها ألا يغير الزمان ولا المكان فى قيمتها ، فليست كسائر الأموال ، يغير قيمتها الزمان والمكان ، وذلك على حسب الأصل فيها ، وإن تغير ذلك الأصل كان ذلك لاضطراب فى الميزان الاقتصادى بالتضخم أو بنقصه ، وإذا كان الأصل ألا تتغير قيمتها ، لأنها وحدة تقدير القيم وميزانها فإن الكسب فيها لا يتأتى عن طريق الاتجار . وهى ليست نامية بذاتها ، حتى يقال إن النقد يلد النقد

١٣ — وأما كون تحريم الربا هو النظام الاقتصادي المعقول ، فهو أمر بين ؛ لأن الناس بالنسبة لرأس المال على ثلاث طوائف : طائفة جعلت لرأس المال سلطاناً كاملاً لاجدء يحده ، ولا نهاية ينتهى عندها ، فهو ينتج بعمل وبغير عمل ، وينتج مع التعرض للكسب والخسارة ومن غير تعرض للخسارة مع المكسب دائماً ؛ فلرأس المال الغنى الدائم . وهؤلاء هم الربويون الذين تسيطر حضارتهم على جزء كبير من العالم ، وهى حضارة تستمد نظامها الاقتصادي من الفكر اليهودي ، ويسيطر عليها اليهود سيطرة مالية فى كل النواحي التى تستقر فيها هذه الحضارة .

والطائفة الثانية طائفة الاشتراكيين الذين صَيَقُوا من سلطان رأس المال بعض التضيق ، وجعلوا الأمة مالكة لمنتجات المال التى تدر الدر الوفير ، من غير عمل كثير ، وأشركوا الأمة أيضاً فى بعض ما ينتجه رأس المال الخاص من غير أن يحجوه ولا يحاربوه ولم يتعرضوا للربا بسوء .

والطائفة الثالثة هى التى حاربت رأس المال وقضت عليه ، وقطعت كل ثمراته ، فلا ربا ولا ما يشبهه ، ولا اقتناء لشيء إلا ما ينفع بالحاجات الأصلية .

١٤ — هذه نظرات الحضارات القائمة إلى رأس المال ؛ أما الشريعة الإسلامية — ككل الديانات السماوية التى لم يعرها التحريف والتبديل — فقد احترمت رأس المال ، واحترمت العمل ، وجعلت على الكسب تبعات وتكليفات ، ولم تجعله غنياً لا مغرم فيه ؛ ولم تجعله سائفاً من غير عمل ينتجه ، أو تعرضاً لخسارة تسوغه ، ولذلك حرمت الربا ؛ لأنه يجعل للشخص كسباً من غير تعرض للخسارة قط ؛ ومن غير عمل قط ؛ وبذلك كان ناس قد عكفوا فى بيوتهم أو حوانيتهم يتصيدون ذوى الحاجات ، أو الذين يريدون أن يشبعوا أنفسهم بتجاراات ليست عندهم أسبابها ؛ فإذا وقع فى أيديهم صيد من هؤلاء أقرضوه ربا واستوثقوا لديونهم رهوناً مقبوضة ، أو فى حكم المقبوضة ، هى فى قيمتها أضعاف الديون ، وهكذا يكونون الراجحين دائماً ، ولا خسارة يتعرضون لها .

فالإسلام حارب أولئك القاعدين الذين يقيمون فى الأرض فساداً ؛ وكان بذلك رحماً بالناس ولم يعتبر الكسب غشمة باردة دائماً ، لا تأتى من خير كدح ، أو تأتى من غير تعرض للخسارة .

١٥ — وإن الربا هو السبب فى خراب البيوت المالية والشركات المنتجة عند اضطراب الأحوال بأزمات كاسدة ، أو بتضخم شديد ؛ فإنه عند الكساد تعجز الشركات المنتجة عن سداد ما عليها من ديون تكاثف الربا فيها ، ولا يكون كسبها مما تنتج معادلاً للربا الذى يطلب ، فيكون العلاج خفض الديون وذهاب الربا كله أو جلّه ،

كما فعل الرئيس روزفلت سنة ١٩٣٤ في أزمة أمريكا الجائحة ، وكما فعلت مصر في التسويات للديون العقارية ، فإن العلاج كان بإسقاط الربا كله أو جله .

فتلك الحضارة الربوية عند ما يطم سيل الربا ، وتتفاهم نتائجها تعالج الحال بإسقاطه كله أو بعضه الكثير . وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد حرمته تحريماً باتاً قاطعاً لاهوادة فيه ؛ فإن ذلك هو الرحمة التي تتم ولا تخص ، وتلك هي شريعة اللطيف الخبير .

١٦ - كان ربا النسبة حراماً حرمة مجمعة عليها من غير أي خلاف فيها كما قلنا ، وقد أعظم الفرية على هذا الشرع الشريف من قال إن في تحريم ربا النسبة أي خلاف ، أو أن في معناه أي خلاف ؛ فهو عند الجميع زيادة في الدين في نظير الأجل ، سواء أكان ذلك باشتراط بالنص أو بالعرف أو من غير اشتراط ، وقد قلنا لك النصوص الدالة على ذلك من الجصاص وغيره .

وإن ذلك الربا المحرم في الشريعة بالإجماع تملكت به في الماضي النفوس التي تطمع في المال من غير حله ، وكان الأقدمون يحترمون النصوص الشرعية والحقائق الإسلامية ، فلم يتجهوا إلى العبث بها ، أو تأويل النصوص تأويلاً بعيداً عن معناها ومرماها المجمع عليه ، ولكن الذين طعموا في الربا تحايلوا في أعمالهم ، ولم يعشوا بالنصوص الخالدة ، فكان إثمهم مقصوراً ، ولم يتعدم إلى الأخلاف من بعدهم ؛ فقد اخترعوا ما يسمى ببيع العينة ليأكلوا الربا عن طريقه ، وذلك بأن يوسط الدائن والمدين عند التدين شيئاً يجري فيه البيع الصوري ، فيبيع الدائن للمدين ذلك الشيء بمائة مؤجلة ، فيكون الثمن في ذمة المشتري وهو المدين ، ثم يبيع المدين هذا الشيء نفسه للدائن بثمانين مثلاً معجلة ، وينتهي ذلك التعاقد الآثم بأن المدين أصبح مطالباً بمائة وما تسلم إلا ثمانين والفرق هو في نظير التأجيل ، وبذلك يحتالون ليستحلوا الربا ، ويصح عقد البيع في نظر الإسلام ، وإنه لينطبق عليهم تمام الانطباق قول الله تعالى في إخوان لهم من المنافقين : « يخادعون الله والذين آمنوا . وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . » ولقد شاع بيع العينة في عهد الأئمة المجتهدين ، فقد روى عن محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة أنه قال في بيع العينة : إنه عندى أثقل من الجبال قد اخترعه أكلة الربا .

١٧ - تلك كانت حيلة الربويين السابقين يحتالون على الشرع الشريف ، من غير أن يؤولوا النصوص أو يعشوا بها فكانوا أفضل من الربويين من المسلمين في هذا الزمان ، إن كان في الربويين فاضل ومفضول ، أو بالأحرى إذا كان الشر طبعات ؛

لأن الأولين لم يبيعوا لأنفسهم الربا واعتقدوه حراماً ، ولكنهم تخيلوا ليسوعوا لأنفسهم بعضاً من زاعمين أن العقد مادام قد استوفى شروط الصحة الظاهرة ، فقد زالت الخطيئة « ذلك قولهم بأفواههم » أما الربويون في عصرنا فقد تخطوا الحدود ؛ وساروا في طريق أوله إثم وآخره مروق من الدين كما يبرق السهم من الرمية .

إن الربويين في هذا العصر آمنوا بالمادية الغربية الإيمان كله ، ولا أقول إنهم كفروا بالإسلام ، فإنني لست بمن يرمون الناس بالكفر ماداموا يقولون إنهم مسلمون ، ولكن أقول إنهم أرادوا الإسلام خاضعاً لما آمنوا به ، فإن قلت لهم الإسلام حرم الزنى ، قالوا لك إن أوربا نظمت الزنى على شكل كذا وكذا ، وإن قلت لهم إن الإسلام حرم الخمر ، قالوا إن أهل أوربا مضطرون للخمر ، والإسلام لم يقل لا تشربوا الخمر ولكن قال : « فاجتنبوه لعلكم تفلحون » وإن قلت لهم إن قوله تعالى اجتنبوه وما أعقبها أقوى دلالات في النهي ، هزوا أكتافهم وأداروا ظهورهم ، وقالوا ولماذا لم يقل « لا تشربوا » وهكذا يصمون آذانهم عن سماع الحق ، ويجهلون أنفسهم ، وإن قلت لهم القرآن حرم الربا ، قالوا وماذا نصنع في هذه المصارف أتفاق أبوابها ؟ سمعنا الشيخ فلانا يحل فوائد المصارف ، وقيل عن الشيخ عبده إنه أحلها ، وهكذا وهكذا . . .

١٨ — ولو اقتصر البلاء على هؤلاء في أمر الربا لكان الخطب ، فإن الناس لا يأنهون لقولهم في الإسلام وهم يعلمون ، فليعرفوا بما لم يعرفوا ماداموا يريدون أن يتبع الحق أهواءهم ، كما قال القرآن من قبل في المشركين وغيرهم من الكافرين الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .

ولكن الداهية السكارثة أن بعض الدين يتسمون بسمة العلماء في الإسلام ، ولهم قول مسموع فيه ، ومن الناس من يتبعهم ، الكارثة الكبرى أن يقول هؤلاء محلين فوائد المصارف على أنها لا يحرّمها الدين ، ولا تدخل في عموم كلمة الربا الواردة في القرآن ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

١٩ — ولعلكم أيها الأبناء الأعزة تسألون أنفسكم على أي دليل بنوا تخصيصهم ؟ وعلى أي دعاية أقاموا أقوالهم ؟ وإنني بعون الله أرجو أن نشفي صدوركم بإجابكم فيما تطلبون . . .

يبتدون فيقولون إن كلمة الربا ليست من الكلمات التي هي نص فيما تشتمل عليه دليل أن عمر رضى الله عنه — ومكانه في الإسلام مكانه — خطب الناس فقال : « ثلاث وددت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد إلينا فبين عهداً ننهي إليه : الحد

والكلالة وأبواب من الربا» وروى عنه أنه قال : « إنا والله لاندري لعلنا نأمركم بأموال لا تصلح لكم ، وعلنا ننهاكم عن أمور تصلح لكم ، وإنه كان من آخر القرآن نزولا آيات الربا ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبينه فدعوا ما يريكم إلى ما لا يريكم » .

تعلقوا بمثل هذه الأقوال المروية عن بعض الصحابة المجتهدين التي تدل على أن الربا لم يكن واضحاً كل الوضوح ؛ فليس النص على نوع منه بأن التحريم فيه قاطع أمر لا يخلو من مجازفة في الحكم .

٢٠ — وإنا نجيبهم عن هذا القول بأن عمر رضى الله ما جهل كل أنواع الربا ، بل خفي عليه رضى الله عنه أبواب منه ، وقد يقال إن النص الثانى يدل على أنه قد خفي عليه كله ، وهذا كلام غير صحيح ؛ لأن من المقرر الثابت أنه إذا اجتمع الخاص والعام حمل العام على الخاص ، فإذا كان في النص الثانى عموم فهو محمول على الخصوص فى الأول . على أن النص يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين الربا الذى فى الآية الكريمة ؛ وفى الحقيقة أنه لا يحتاج إلى بيان ، لأنه ربا الجاهلية ؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما روى فى الصحيح فى خطبة الوداع : « إلا وإن ربا الجاهلية موضوع » ومحال أن يكون مثل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يجهل ربا الجاهلية . وكل تفسير لقوله يؤدى إلى ذلك هو تفسير باطل ، ليس له سند من التاريخ ، فإنه كان من المعروفين بالعلم بأنساب العرب وأحوالهم فى الجاهلية .

على أن عمر رضى الله عنه ساق هذا القول ليمتنعوا عن كل ما يشك فيه أنه من الربا ، ولذا قال فى رواية أخرى « دعوا الربا والريبة » فهل دعوا إلى ما دعا إليه ، أم ساقوه ليحللوا ما حرم القرآن .

والخلاصة أنه لا التباس قط فى النص القرآنى ، لأن ربا الجاهلية كان معروفاً غير مجهول من أحد الصحابة ؛ انظر إلى قول الجصاص الذى نقلناه فى العدد السابق إذ يقول (إنه معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضاً مؤجلاً بزيادة مشروطة ، فكانت الزيادة بدلا من الأجل فأبطله الله تعالى وحرمه وقال : « وإن تبتم فلکم ردوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون »)^(١) فإذا كان لم يبين ربا الآية فلا أنه معلوم من غير بيان ، وإنما موضع القول والاختلاف هو فى الربا الذى ثبت فى السنة ، وهو الذى سميناه ربا البيوع ، كما سنبين إن شاء الله تعالى .

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٦٧ طبع الأستانة .

ومن الغريب أننا نجد أولئك الذين يريدون أن يسوغوا الفوائد المصرفية على أى صورة كانت يدعون أن الإجماع لم ينعقد على تحريم ربا النسيئة الذى هو ربا القرآن ليعبثوا بالنصوص كما يشاءون ، فليأتوا بأحد أباحه لنعقد نقض الإجماع به ، ولكنهم يريدون أن يحلوا ما حرم الله تمكيناً لتلك المدنية التى زلزلت أركانها ، وحسبهم ذلك وكفى .

٢١ - ويقولون فى تسويغ الربا إن الربا الذى حرمه الإسلام هو الفائدة التى تكون على دين أخذ للاستهلاك ، لا للاستغلال ، فيجعلون مناط التحريم ليس تنظيم الانتفاع برأس المال بحيث يتعرض المنتفع للخسارة ، كما يشارك فى الربح ، بل ظن أولئك أو ادعوا من غير ظن أن السبب فى التحريم هو المروءة والأخلاق ، فليس من المروءة والأخلاق أن رجلاً يقترض لياكل أو ليلبس ، أو ليجهز منه متاع ابنته لزواجها ، فتأخذ منه فائدة ، ولكن لا ينافى الأخلاق الفاضلة ، ولا المروءة أن تقترض رجلاً فيستغل ما تقرضه ، ويكسب منه ، فتشاركه فى هذا الكسب بتلك الفائدة المحدودة ، وربما كان الكسب كبيراً ، وإن العدل أن تشاركه فى كسبه .

ونجيب هؤلاء بأن تحريم الربا تنظيم اقتصادى لرأس المال المنتفع ليعمل الناس جميعاً ، ومن لم يستطع العمل يقدم المال لمن يعمل على أن يكون الربح بينهما والخسارة عليهما وهذا هو العدل ، فليس العدل أن يكون لأحدهما الغنى دائماً من غير أن يتعرض للخسارة مطلقاً ، فهو يأخذ فائدته ، ولو لم يربح الآخر ، بل لحقته الخسارة .

٢٢ - ولترك الكلام فى العلة لتسجبه إلى النصوص ، فهل نص الآية لا يشمل إلا الفوائد التى تؤخذ على الديون التى تكون للاستهلاك ؟ الجواب عن ذلك أن النص عام ، لأن الربا يشمل النوعين ، لأنك إن فسرته بمعنى الزيادة فكل زيادة على رأس المال تعد ربا ، كما هو نص قوله تعالى : « فإن تبتم فلم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » وإن فسرت كلمة الربا بأن المراد بها ربا الجاهلية ، فلا دليل مطلقاً على أن ربا الجاهلية كان للاستهلاك ، ولم يكن للاستغلال ، بل الفرض الذى يجد الباحث مستنداً له من التاريخ هو أن القصد كان للاستغلال ، فإن أحوال العرب ومكان مكة ، وأتجار قريش كل ذلك يسند هذا الفرض ، وهو أن القرض كان للاستغلال ، ولم يكن للاستهلاك .

وذلك لأن العرب كانت حياتهم أولية ساذجة ، فلم تكن متسعة متنوعة الحاجات ، والقرض للاستهلاك ، إنما يكون لمن تنوعت حاجاته وكثرت مطالبه ، وتباطأت عن

وفائها في وقت معين موارده أما من يكون قليل المطالب غير متنوعة حاجاته ، فلا يقترض ، إن العرب كان طعامهم التمر واللبن ويندر من لا يجدهما ، ومن لا يجدهما يجد من الكرم العربي ما يوسع عليه من غير بدل قليل أو كثير . فهل يتصور عاقل أن العباس بن عبد المطلب يجيئه محتاج إلى القوت أو اللباس ، فلا يقرضه إلا ربا ، ومن المعروف أنه كان من المراءيين في الجاهلية ؟ ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا وإن ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب » .

فهل كان العباس يقرض طالب قوت ، أو كساء بالربا ؟ إن ذلك بعيد ، بل يكاد يكون في حكم المستحيل ؛ إنما يقرض العباس من يستغل ليشركه في كسبه بالربا .

٢٣ — وفوق ذلك فإن مكان مكة يجعل قريشاً من التجار ، وكانوا فعلاً كذلك وذلك لأن الاتجار بين الفرس والرومان كان عن طريق البر ، ولما اشتدت الحروب بينهما قبيل الإسلام كان الاتجار بينهما عن طريق اليمن والشام ، ومكة كانت في الوسط بينهما ، فكان القرشيون ينقلون بضائع فارس من اليمن إلى الشام ، وبضائع الروم من الشام إلى اليمن ، ولذلك كانت لهم رحلتان إحداهما إلى اليمن شتاء ، والأخرى إلى الشام صيفاً ؛ وهذا قوله تعالى : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

وإذا كان قريش متجرين ينتجمون الشام واليمن للاتجار فلا بد أن يتجر الشخص بماله وبنفسه ، أو أن يتجر بمال غيره عن طريق المضاربة بأن يكون الربح بينهما والفرم على صاحب رأس المال إن كانت خسارة ، أو عن طريق الربا بأن يأخذ شخص مالا من غيره يتجر فيه على أن يكون له فائدة محدودة قلت أو كثرت .

وإن الوقائع التاريخية تؤيد ذلك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما حاول أن يهاجم غير قريش الداهية إلى الشام قال الرواة إنه كان فيها أموال قريش كلها ، ليس منهم إلا من أرسل مالا يتجر فيه ، ولا شك أن بعضهم كان بطريق المضاربة التي أقرها الإسلام من بعد ، وبعضهم كان بطريق الربا الذي لا يشترك فيه المقرض في الخسارة إن كانت خسارة .

وإذا كانت هذه هي الوقائع التاريخية ، وقد كان العباس وغيره من أكبر تجار العرب ، وأصحاب رؤوس المال فلا بد أنهم كانوا يتجرون بأنفسهم أحياناً ، ويدفعون المال ربا أحياناً ؛

فالربا كان للاستغلال ، وفرض أنه كان للاستهلاك فقط فرض باطل ، فوق أن النص عام يشمل الحالين ، والمعنى واضح بيناه ، وهو أن الإسلام يريد نظاماً اقتصادياً لا يعمل رأس المال وحده ، أو لا يعمل من غير تعرض للخسارة .

٢٤ — ومن الغريب أن أولئك الذين أرادوا أن يحلوا الربا الذي حرمه القرآن تمكينا لذلك الاقتصاد اليهودي يقولون إن الفقهاء أجمعوا على جواز أن يكون البيع المؤجل بسعر أعلى من السعر المعلن ؛ ويقولون إن هذه الزيادة في نظير الأجل ، بل لقد قالوا : جاء في ابن عابدين أنه إذا بيع الشيء بثمان مؤجل ثم وجب الأداء معجلاً فإنه ينقص من الثمن بمقدار التعجيل ، وبذلك يتبين أن الفقهاء أباحوا الزيادة في نظير الأجل وأى فرق بينها وبين الربا المحرم .

وتقول لهم مقالة الله لمن اعترض بمثل اعتراضهم إذ قالوا إنما البيع مثل الربا ، فرد الله عليه سبحانه بقوله : « أحل الله البيع وحرم الربا » .

فأولئك الذين يحكون أقوال الفقهاء لا يعترضون عليهم إنما يعترضون على ربهم ، ولكي نريهم ، أو بالأحرى نريخ الناس من إصرارهم ، ولجأهم فيما يقولون ، نقول إن المبيع سلعة لها منافع ولها غلات ، وإن كانت مما ينتفع به باستهلاكه فإن أسعارها تختلف باختلاف الأزمان ، فهي في زمن بسعر ، وفي غيره بسعر ، فإذا احتاط البائع لنفسه فباعها بثمان مؤجل مرتفع ، ومعجل غير مرتفع ، فلأن موضوع المعاملة يقبل الارتفاع والانخفاض في الأزمان وله غلات بنفسه ، أما النقود فهي وحدة التقدير ؛ فالمفروض ألا يؤثر فيها الزمان . وينبغي أن تكون كذلك دائماً ؛ لأنها ليست سلعة ترتفع قيمتها وتنخفض .

٢٥ — وعلى ذلك يخرج قول من يقول إنه إذا أدى الثمن المؤجل معجلاً نقص منه بمقدار ما يعادل الأجل ؛ فإن الأساس هو السلعة لا النقد المجرد . على أن هذا القول لم نجده إلا في التمر المختار نسبة لبعض المتأخرين ، فقد جاء فيه في باب المراجعة (وهي أن يبيع الشيء بكسب بنسبة معينة من الثمن الأصلي) جاء في هذا الباب أنه إذا كان الثمن مؤجلاً ومات المشتري في أثناء المدة فإنه يحل الثمن ويجب أدائه فوراً ، وينقص من الثمن ما يقابل الجزء الباقي من المدة ؛ وجاء في ابن عابدين أن المتأخرين من العلماء أفتوا به ، وأن المولى أبا السعود ارتضاه ، ولعل أبا السعود العماري ارتضاه لأنه كان يسهل على سليمان القانوني ما يريد من إدخال الأفكار الأوربية في بلاده ، ولقد لم يعتبر علماء الأتراك فتاويه ، وقد وجدنا للتقدميين يقولون عكس هذا القول ، فهذا أبو بكر

الرازي يقول عن النقص في نظير التعجيل في تفسيره : « إذا كان عليه دين عليه ألف درهم مؤجلة ، فوضع عنه على أن يعجله فإنما جعل الخط بإزاء الأجل ، فكان في معنى الربا الذي نص على تحريمه » .

٢٦ — لا مبالغ لأحد يؤمن بالله ورسوله ، ويجعل حكمهما المقام الأعلى أن يقول إن شيئاً من فائدة المصارف حلال ، ولقد وجدنا بعض العلماء يفتح لهم نافذة أخرى ، وهي نافذة الضرورة ، فقد زعموا أن الاقتصاد في البلاد الإسلامية قام على أساس هذه الفائدة ، وليس لنا أن نفتات على شرع الله ، فنحل ما حرم ، ولكن نحن في حال ضرورة اقتصادية ، ومن المقررات الفقهية أن الضرورات تبيح المحظورات . فإن الفائدة تباح للضرورة . ذلك نظراً لجدد لاقى رواجاً ، وقبله كثيرون من المتشددین الذين لا يتساهلون .

فلننظر في هذا الأمر أهو مسوغ لهذا الحرام ؟

إن من المقررات أن الضرورات تبيح المحظورات ، ولقد قال الفقهاء إن الإسلام منع الحرج في الدين ، ولذلك قسموا المحرمات إلى قسمين محرم لذاته لا يباح إلا للضرورة ، ومحرم لغيره كروية جسم المرأة فإنه يحرم لأنه ذريعة إلى الزنى . والمحرم لغيره يباح للحاجة كعلاج أو نحوه ، والحاجة ما يمكن أن يعيش الإنسان من غيره ، ولكن يكون في حرج وضيق .

أما الضرورة فهي ما يترتب على تركه تلف النفس أو عضو من أعضاء الجسم ، ومن أى نوع حاجة الاقتصاد الإسلامى إلى الربا ؟ مع العلم بأن ربا النسيئة هو الربا الجلى وهو محرم لذاته ؛ لا لغيره ، فهو لا يباح للحاجة ، إنما يباح فقط للضرورة .

أحاجة الاقتصاد الإسلامى إلى الربا من الضرورة التي تلف النفس إن لم يؤخذ به ، أم من قبيل الحاجة ؟ . ولكي نعرف معنى الضرورة نروى الحديث النبوى الشريف في معناه ، فقد روى أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : إنا نكون بالأرض تصيينا الخمصة فمى تحمل لنا الميتة ؟ قال متى لم تصطبحوها أو تعقبوها أو تجدوا بها بقل . فهو لم يباح الميتة إلا إذا لم يجدوا طعاماً في الصباح ، ولا في المساء ، ولم يجدوا شيئاً في الأرض يأكلونه .

فهل الحاجة إلى الربا من هذا الصنف ، وهل غلقت كل أبواب الإنتاج الحلال ، أو سلكناها كلها ولا نجد مع ذلك ما يسد رمقنا إلا الربا ؟ وهل حيل بيننا وبين الحلال ، فلا نجد إلا الربا سبيلاً لسد الجوع ؟ اللهم : لا .

٢٧ — إن الفقهاء قد قرروا أنه لا يؤخذ من المحرمات التي تباح للضرورة إلا ما يسد الرمق ، وقد توسع مالك فأجاز الشبع والتزود عند الضرورة ، ومع ذلك فإن ذلك الإمام الجليل يقرر أنه لو طبق الحرام الأرض أو ناحية منها يعسر الانتقال ، وانسدت طرق المكاسب الطيبة ، ومست الحاجة الزيادة عن سد الرمق ، فإنه يسوغ لآحاد الناس إذا لم يستطيعوا تغيير الحال وتعذر الانتقال إلى أرض تقام فيها الشريعة ، ويسهل الكسب الحلال أن ينالوا كارهين بعض هذه المكاسب الحبيثة (١) .

فهل نحن الآن قد انسدت أمامنا كل طرق الكسب الحلال ، ولا يمكننا التغيير حتى نستبيح الربا باسم الضرورة ؟ اللهم : لا .

إن الحلال والحرام بين ، وإنما قبل أن نستحل الربا علينا أن نعمل على تغيير هذه الأوضاع الاقتصادية التي قامت عليه ، وأن نفتح باب الكسب الحلال على مصراعيه ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

« يتبع »



من معاني الوضوء .

« ... فإذا قمت إلى وضوئك فأيقن في نفسك واعزم في خاطرك على أن في هذا الماء سرّاً روحانياً من أسرار الغيب والحياة وأنه رمز للسماء عندك وأنتك إنما تتطهر به من ظلمات نفسك التي امتدت على أطرافك ؛ ثم سم الله تعالى مفيضاً اسمه القادر الكريم على الماء وعلى نفسك معاً ، ثم تمثل أنك غسلت يديك مما فيهما ومما تتعاطاه بهما من أعمال الدنيا وأنتك آخذ فيهما من السماء لوجهك وأعضائك ؛ وقرر عند نفسك أن الوضوء ليس شيئاً إلا مسحة سماوية تسبغها على كل أطرافك ليشر بها جسمك وعقلك ، وأنتك بهذه المسحة السماوية تستقبل الله في صلاتك سماوياً لا أرضياً . »

« الرافعي »

مثل الإنسانية الأعلى

(٢)

لأبي نعمان المهاجر

« إن الذين هم من خشية ربهم .شفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ،
والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم
إلى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ، »

من هذه الآية الكريمة في تقرير المثل الأعلى للسمو الإنساني ، ننبين أنه لا يمكن
أن تجد الإنسانية وسيلة لهدايتها وإرشادها في طريق الحياة الشائك أفضل من هذه
الوسيلة الإلهية الثابتة التي اختارها الله لإنقاذ البشر ، والتي تتلخص في الأربعة العناصر
المذكورة وهي : الخشية من الله ، والإيمان بآياته ، والتزهد عن الشرك ، واستشعار
الخوف من لقائه في الآخرة .

ومما لا ريب فيه أن هذه العناصر الأربعة إذا اجتمعت في قلوب المؤمنين فإنها
تعطيهم من المناعة ضد الشر والعدوان ، وفساد الأخلاق ، كما تعطيهم من الاستعداد
للخير والسبق إليه مالا تعطيهم أية وسيلة أخرى من وسائل التربية التي وضعها الفلاسفة
الماديون ؛ لأن هذه الوسيلة تضع في أنفسهم رقابة داخلية دائمة لا تفارقهم في أية لحظة
من حياتهم .

إنها جذوة مقدسة تضيء في جواهرهم ، وتبهر فيهم أكرم المواهب ، وأنبل العواطف ،
وأشرف الأخلاق ، وتجعل منهم هداة الإنسانية ورحماءها ومثلها الأعلى وصفوتها
المنتخبة المتقاة ؛ « أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » .

ومن يك وازعه روحه يحمد نظرة الله في سره .
ومن أمن الشر من نفسه فليس يرى الشر من غيره .

ولما كان من شأن هذه الرقابة الداخلية أن تكون دائمة ، وغير منسكة عن الإنسان
وكان استشعار الخوف من الله ، والإشفاق من لقائه أمراً قد تشدد وطأته على بعض القلوب
ويعظم خطبه عليها ، وقد يتبادى ويستفحل حتى يجعلها في حالة من الوله والفرع يعوقها
عن الاضطلاع بمهمات الحياة التي لا بد منها كما هو مشاهد في بعض المتصوفة ، جاءت

الآية التالية تحدد المقدار اللازم من الشعور بالخوف ، وتؤمن روع المؤمنين وتخفف عنهم :

« ولا نكلف نفساً إلا وسعها ، ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون »
فالإشفاق من الله ومن لقائه — وإن كان يجب أن يكون رقيباً عتيداً على المؤمنين في طوايا ضمائرهم — إلا أنه يجب أن يكون إلى جانبه الإيمان بعدالة الله ورحمته ، وبأنه لا يكلف النفس فوق وسعها وطاقاتها ، وبأن لديه كتاب اللوح المحفوظ الذى يسجل على بنى الإنسان أعمال الخير والشر ، ولا ينطق إلا بالحق ولا يظلم أحداً .

فهذه الهداية الإلهية السامية التى أكرم الله بها بنى الإنسان وأرادهم على الوصول عن طريقها إلى أسمى مراتب السعادة والرفعة ، وبعث بها أنبياءه ورسله مبشرين ومنذرين لا يمكن أن تحدث أى أثر فى الجاحدين بها ؛ لأنه محتوم على قلوبهم فلا يؤثر فيها منطق الحق ، ولا آياته ولا بيناته : « بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون » فقد احتلت نفوسهم ضلالات صرفتها عن حظها من الهداية والرشد ومن طبيعة النفس أنها لا تستطيع الاتجاه فى وقت واحد إلى وجهتين متناقضتين ؛ فإذا هى قد اتجهت إلى وجهة معينة اتجاهاً كلياً صادقاً لم تعد قادرة حينئذ على الالتفات إلى وجهة أخرى .

لهذا فإن الكفار الذين كانوا يستمعون إلى التنزيل ، وينظرون إلى طلعة الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام ، لم يكونوا يتأثرون بذلك ولا يحسون ولا يشعرون لأن عقائدهم الوثنية ، وحياتهم المترفة الفاجرة ، كانت قد استبدت بما عندهم من القدرة على فهم الحق والرجوع إليه : « حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون ، لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون » .

ومن طبيعة هذه النفوس التى ران عليها الضلال أنها لا تفيق من غمرتها الساهية الإلهية إلا إذا أصيبت بهزة تزلزل كيائها وتمزق غشاوتها وترى وجه الحق طالماً عليها من آفاق السدفة الحالكة ، ولكن وجه الحق هذا سرعان ما يحتجب عنها إذا زایلها المصيبة وانفرجت عنها ، والنفوس التى تتصف بهذه الصفة : صفة التردد فى حال النعمة ، والضراعة فى إبان الشدة ، هى نفوس معرقة فى اللؤم والضلال لا يقبل الله لها توبة ولا يسمع لها دعاء ، لهذا فإن الله لما أخذ المترفين الجاحدين من الكفار يوم بدر راحوا يجأرون إلى الله ويستغيثون ، ولكنه سبحانه يعلم أنه لم يحملهم على ضراعتهم إلا الإحساس

بعذاب الله الواقع بهم ، وأنهم لو فسح في آجالهم ، وامتد بهم الزمن لرجعوا إلى ما كانوا عليه ؛ لهذا خاطبهم بقوله : « لا تجأروا اليوم ، إنكم منا لا تنصرون ، قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون ، مستكبرين به سامراً تهجرون » .
الضمير في « به » راجع إلى البيت الحرام ، وقد كان المشركون يفتخرون على الناس بأنهم حراس البيت ، وأنهم أهله وحفظته ، فلذلك استكبروا عن الإيمان بالحق ، وأخذوا يتجمعون في بيت الله ليلتعدوا عن هداية الله ، ويصدوا عن سبيله .

* * *

ثم انتقلت الآيات الكريمة إلى التساؤل عن سبب إعراض الكفار عن دعوة الإسلام فذكرت أربعة أسباب على نسق الاستفهام التقريرى : « أفلم يدبروا القول ، أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين ، أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ، أم يقولون به جنة » ؟ .

أى : فهل السبب أنهم لم يدبروا القرآن ؟ — لا ؛ فقد تدبروه ، أم أنه جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين ؟ — لا ؛ فإنما جاءهم ما كان قد جاء من قبلهم ، أم أنهم لم يعرفوا رسولهم ؟ — لا ؛ فقد عرفوه وعرفوا صدقه ، أم أنهم قالوا بأن به جنة ؟ — لا ؛ فإنهم وإن قالوا ذلك فإنما قالوه على طريقة الجدل والمكابرة وهم يعرفون أن ما قالوه باطل ليس له أساس من الواقع .

فهذه كلها ليست هى أسباب جحودهم ونكرانهم ، « بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون » : أى أن السبب أنه جاءهم بالحق فى حين أن أكثرهم يكرهون هذا الحق ؛ والكراهية والحب كلاهما يعمى ويصم ويحول بين الإنسان وبين إدراك الحقائق على وجهها الصحيح : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون » .

صحابة الرسول

شمُ العرانيين أبطال لبوسهم من نسج داود فى الهيجا سرايل
لئسوا مفاريج إن نالت رماحهم قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

« كعب بن زهير »

طبيعة المجتمع الإسلامي

للأستاذ سيد قطب

ما الذي يعنيه اصطلاح « المجتمع الإسلامي » ؟ هل لهذا المجتمع طابع معين ؟ وهل يندرج هذا الطابع أو يتفق مع شيء من النظم الاجتماعية الأخرى التي عرفتها البشرية ؟ إن هذا البحث كله هو الإجابة المفصلة على هذا السؤال . . . ولكنني أحب هنا أن أستعجل القول في إجمال ، لتقرير بعض الحقائق الأساسية عن طبيعة المجتمع الإسلامي ؛ وتجلية بعض الشبهات التي تعرض حتى لبعض الدعاة الإسلاميين ؛ ودحض بعض المفتريات التي يشيعها أعداء الفكرة الإسلامية ، أو الجاهلون الذين لا يعرفون عن الإسلام غير القشور .

لقد عرف المجتمع الغربي ألواناً شتى من النظم : عرف نظام الرق ، ونظام الإقطاع ، والنظام الرأسمالي ، والنظام الاشتراكي ، والنظام الشيوعي (على الأقل من الناحية الفلسفية التي لم يتم تحقيقها بعد في واقع الحياة) .

فأي واحد من هذه النظم هو النظام الإسلامي ؟

إنه ليس واحداً منها بكل تأكيد ؛ وليس كذلك خليطاً من بعضها ، مهما يقع من التشابه أحياناً بين بعض أوضاعه ، وبعض أوضاع نظام أو أكثر من تلك النظم ، التي عرفتها البشرية في تاريخها الطويل .

والعلة الرئيسية في تفرد المجتمع الإسلامي بنظامه الخاص هي أنه مجتمع من صنع شريعة خاصة ، جاءت من لدن إله ؛ فهذه الشريعة التي وجدت كاملة منذ نشأتها غير متدرجة تدرجاً تاريخياً . . . هذه الشريعة هي التي أوجدت هذا المجتمع ؛ وأقامته على أسسه التي أرادها الله لعباده ، لا التي أرادها بعض هؤلاء العباد لبعض . وفي ظل هذه الشريعة تم نمو الجماعة الإسلامية ؛ ووجدت ارتباطات العمل والإنتاج والحكم ، وقواعد الآداب الفردية والاجتماعية ، ومبادئ السلوك ، وقوانين التعامل . . . وسائر مقومات المجتمع الخاصة ، التي تحدد نوعه ، وترسم له طريق النمو والتطور .

ذلك على الضد من كل النظم الاجتماعية التي عرفتها أوروبا ؛ والتي نشأت نشوءً ذاتياً وفق مقتضيات أرضية ، ونمرة للصراع الداخلي بين الطبقات ، والاحتكاك الطبيعي بين

علاقات الإنتاج القائمة وطرق الإنتاج المتجددة ، والمصالح المتعارضة بين التكتلات المتنوعة داخل جسم الجماعة البشرية .. مما يؤثر في طبيعة القوانين وشكل الحكومات ، والأفكار الاجتماعية والأخلاقية السائدة ... الخ .

ومن ثم كانت جميع الأحكام والقوانين التي تنطبق على نشأة النظم الاجتماعية الغربية وتطورها غير منطبقة على المجتمع الإسلامي ؛ لاختلاف نشأته عن نشأة تلك النظم ، ولاختلاف القاعدة التي ترتكن عليها نشأته ، ولاختلاف القانون الذي يحكم نموه وتطوره ..

إنه ليس المجتمع الإسلامي هو الذي صنع الشريعة ؛ إنما الشريعة هي التي صنعت المجتمع الإسلامي . هي التي حددت له سماته ومقوماته وهي التي وجهته وطورته . ولم تكن الشريعة مجرد استجابة للحاجات المحلية الموقوتة — كما هو الشأن في التشريعات الأرضية — إنما كانت منهاجاً إلهياً لتطوير البشرية كلها وصياغة صياغة معينة ، ودفعها إلى أوضاع معينة يتم بها تحقيق المجتمع الإسلامي المنشود .. وكلما انقضى الزمن وارتفعت درجة المعرفة البشرية كانت أقرب إلى تحقيق ذلك المجتمع المنشود .. وهذه السمة ذات أثر حاسم في تحديد طبيعة المجتمع الإسلامي ، وتميزه عن جميع المجتمعات التي نشأت نشوءاً ذاتياً ، وأنشأت قوانينها وفق التغيرات المحدودة التي تنال حياتها يوماً بعد يوم .

إن مهمة التشريع في المجتمع الإسلامي — والتشريع هو المظهر البارز لتطور المجتمع لأنه تلبية مستمرة لهذا التطور — كانت دائماً محكومة بأصل ثابت هو الشريعة الإسلامية — كما بينا فيما سبق — ومع أن الفقه الإسلامي كان تلبية مستمرة لبروز الحاجات في المجتمع وتحديد الارتباطات ، إلا أن نمو الفقه لم يكن طليقاً ، لأنه كان دائماً مشدوداً إلى ذلك الأصل الثابت ، محافظاً على المبادئ الأساسية ، والسلمات الأولية التي أراد الله لها الدوام في المجتمع الإسلامي .

بذلك تقوم الشريعة دائماً مقام السياج الواقي ، الذي يسمح للمجتمع الإسلامي بالنمو والتجدة والحيوية والبقاء داخل هذا السياج ، ووفق مقومات أصيلة ثابتة . وبذلك يظل الطابع الأصلي للمجتمع الإسلامي واضحاً مميزاً . بينما المجتمعات الغربية كان في توسعها دائماً أن تنمو وفق اللوائح الواقعية ، غير متقيدة بأصل ثابت ؛ لأن المسيحية لم تكن يوماً لها نظام اجتماعي ، وذلك لخلوها من الشريعة التي تتولى تنظيم المجتمع وفق نظرية محددة . هذه هي القاعدة على وجه الإجمال . فإذا دلّ التتبع التاريخي للمجتمع الإسلامي على أن هذا المجتمع كان يتصرف أحياناً هنا أو هناك عن قاعدته الأساسية التي وضعها له الشريعة الإسلامية ، متأثراً بمبادئ غريبة عليه ، أو منساقاً مع التطورات البشرية

في بعض رقاع الأرض ، أو بسبب مؤثرات محاية في بعض الأقاليم التي انضمت إليه .. فإن هذا كله لا يجوز أن ينسبنا أن تلك القاعدة الأساسية ظلت من القوة بحيث تشد إليها المجتمع الإسلامي شداً قويا ، وتطبعه بطابع خاص ، وتحدد طريقة نموه وتطوره ، وتجعل لهذا النمو والتطور تاريخاً خاصاً ، لا يندرج تحت تاريخ التطور الاجتماعي في أوربا ، ولا تصدق عليه القوانين الاجتماعية التي تصدق هناك ... ومثل هذه الظاهرة مستظلة ثابتة في المستقبل — لأن المستقبل لا يمكن فصله عن الماضي — فليس هناك ما يحتم أن يسلك المجتمع الإسلامي في المستقبل أى طريق تكون المجتمعات الغربية قد سلكته ؛ لأن سياج الشريعة الإسلامية سيظل يحرس هذا المجتمع ، مهما تكن عوامل المقاومة ، فإن أربعة عشر قرناً من الزمان لا يمكن محوها من تاريخ مجتمع ، ولا من ضمير أمة ، ولا من واقع حياة !

وبقي أن يسأل سائل : هل من الخير أن يظل نمو مجتمع من المجتمعات وتطوره مشدوداً إلى أصل ثابت ، على حين تتجدد حاجات الحياة وتنوع ، وتختلف علاقات الإنتاج ، وتحتاج إلى مبادئ جديدة وشرائع جديدة ، تلي ذلك التجدد ، وتماشى هذا الاختلاف ؟

والإجابة على هذا السؤال تقتضي معرفة طبيعة ذلك الأصل الثابت ومدى شموله لأصول الحياة الكبرى ، كما تقتضي موازنات موضوعية بين مبادئ ذلك الأصل الثابت التي أنشأت المجتمع الإسلامي ، وحددت له طرق النمو والتجدد ؛ والمبادئ الأخرى التي عرفتها البشرية حتى اليوم . فإذا اتضح أن مبادئ الإسلام موضوعية في أصلها للاستمرار والتجدد ، وأنها ما تزال أفضل ، وما تزال أسبق ، وما تزال سائر النظم التي عرفتها البشرية متخلفة عنها أو ناقصة .. فالثبات لا يكون عندئذ عيباً إنما يكون ميزة لأنه يصبح ضماناً للارتفاع المستمر والتقدم المستمر ، وعدم الانكسار والتردى مع الأهواء والنزوات والانحرافات . ولا عبرة بأن يكون القانون قد شرع اليوم أو قبل مائة عام ، إذا كان ما يزال سابقاً لخطو الجماعة التي تتعامل به ، وملياً لحاجاتها الحاضرة في يسر .

وهذه الموازنات الموضوعية بين النظام الاجتماعي الإسلامي وسائر النظم الاجتماعية الأخرى هي الطريقة الجدية الوحيدة التي تستحق الاحترام ، والتي تتفق مع المنطق العلمي .. أما رفض ذلك النظام لمجرد أنه وضع — أول ما وضع قبل أربعة عشر قرناً — دون نظرة موضوعية فيه ، ودون موازنة موضوعية بينه وبين سواه ، فذلك

تصرف لا يستحق الاحترام العقلي ١ ولا يركن إليه رجل يحترم عقله ، ويتكلم بغير طريقة الببغاوات ١

والذى يأخذ فى موازنة موضوعية بين نظام المجتمع الإسلامى وسائر النظم الاجتماعية الأخرى يجد فى يسر أن ذلك الأصل الثابت أشد مرونة ، وأكثر طواعية ، وأكبر استعداداً لتلبية التطور الجديد فى حياة البشرية من كل النظم الجديدة التى تسمى « تقدمية » وهى حين تقاس إلى مبادئ الإسلام تبدو متخلفة فى عمومها ، كما يبدو فيها التناقض والنقص والتعسف ، بالقياس إلى تلك الشريعة المرنة الشاملة ، المليئة للفطرة فى غير تعسف ، والسابقة لخطو البشرية حتى هذه الأيام . . . ومن ثم يسهل أن يقال : إنه من الخير قطعاً أن يكون للتطور الاجتماعى أصل ثابت يبنى عليه ، مادام هذا الأصل الثابت لا يعوق النمو ، ولا يتعسف تصرف الأمور .

أما هذه الموازنات ذاتها فساعرض لشيء منها فى مناسباتها المتفرقة فى فصول هذا البحث ؛ وإن كان حسبى أن أعرض مقومات المجتمع الإسلامى ، لتكون حاضرة للموازنة بينها وبين مقومات أى مجتمع آخر . مقومات المجتمع الإسلامى هى المجهولة لدى الكثيرة الضخمة ممن يسمحون لأنفسهم أن يجهلوا ، ثم يدعوا أنهم مثقفون . بل يسمحون لأنفسهم — دون معرفة — أن يحكموا بين شيء يعرفونه وشيء يجهلونه . وهم يدعون البحث العلمى ١

إن الشريعة الإسلامية الثابتة لتركز إلى عدة خصائص هى التى كفلت لها إنشاء مجتمع قابل للنمو والتجدد ولأن يكون دائماً قديراً على تحقيق مطالب البشرية المتجددة . هذه الخصائص هى :

١ — أنها — وهى من صنع إله يعرف طبيعة خلقه — قد جاءت وفقاً للمقومات البشرية المشتركة العامة : أى وفقاً لأصول الفطرة البشرية . تلك الفطرة الثابتة التى لا تزول ولا تنمحى ، ولكنها تتحور وتنمو وتتشكل مع بقاء أصلها الثابت الذى منه تنمو . . . وفى المقال السابق شرحت هذه الخاصية بما فيه الكفاية .

٢ — أنها جاءت فى صورة مبادئ كلية عامة ، تقبل التفريع والتطبيق فى الجزئيات المتجددة والأحوال المتغيرة ، دون أن تفارق أصولها الأولى ودون أن تصنع حلولاً جديدة لمشكلات هى بطبيعتها متجددة . . . وقد فصلنا القول فى هذا عند الكلام عن الفقه والشريعة فى المقال الماضى .

٣ — أن هذه المبادئ الكلية العامة جاءت شاملة لكل أصول الحياة الإنسانية وجوانبها جميعاً . فتناولت حياة الفرد ، وارتباطات الجماعة ، وأسس الدولة ، والعلاقات الدولية . كما تناولت حياة الإنسان في كل مجالات النشاط ؛ ووضعت لها التشريعات التى تنظمها جنائياً ومدنياً وتجارياً واجتماعياً وسياسياً . فلم تترك جانباً واحداً منها دون تنظيم عن طريق القانون . وما تزال النظريات التى تضمنتها في هذه النواحي سابقة لكل ما وصلت إليه النظريات التشريعية الأرضية .

٤ — أن المبادئ الاجتماعية التى قامت على أساسها جاءت تقدمية — وما تزال كذلك — فاندفعت بالبشرية إلى الأمام ؛ وما تزال قادرة على إعادة هذا الدور ، لأنها بالقياس إلى الأوضاع الاجتماعية السائدة وإلى النظريات الاجتماعية السائدة كذلك ما تزال سابقة ومتفوقة .

وحين نعرض مقومات المجتمع الإسلامى بالتفصيل سيتبين الناس صدق هذا الذى نقول . أما الآن فأكتفى بعرض خفيف لحصائص النظم الاجتماعية التى عرقها البشرية في أوربا ، نتبين على ضوءها أن النظام الإسلامى نظام متفرد بينها . ليس واحداً منها ، وليس خليطاً من بعضها ، وأنه لم ينم نموها ، ولم يسلك طريقها ، ولا ينطبق تاريخها على تاريخها ، ولا نشأتها على نشأته ، ولا تسير أصولها أصوله . وإن وقع التشابه بين بعض مظاهرها وبعض مظاهره عن طريق العرض والاتفاق :

إن الدراسات الاجتماعية الغربية تقول — متأثرة في هذا بالتاريخ الأوروبى وحده لا التاريخ الإنسانى — إن البشرية قد مرت في أطوار متتابعة هى : الشيوعية الأولى . فالرق . فالإقطاع . فالرأسمالية . فلاشتركية في طريقها إلى الشيوعية . .

فأما الشيوعية الأولى ، فهى مجرد فرض لا دليل عليه يطمأن إليه . فرض يقوم على تصور مرحلة في تاريخ الإنسان ، خرج فيها من حالة الحيوانية ، وعاش أفراد الجماعة عيشة شيوعية كاملة ، يشتركون فيها في الملكية العامة ، وفي الجهد الذى يبذلونه جماعة ، وفي التمتع بشمرة هذا الجهد المشترك . واستمرت مدة اعتماد الإنسان في معاشه على وسيلة الصيد . ثم انتهت عندما عرف الزراعة واستئناس الحيوان ورعى الماشية التى أخذت قطعانها تتزايد وتحتاج إلى من يرعاها . . وهنا عدلت القبائل عن تقاليدها في قتل الأسرى واستخدمتهم رقيقاً لرعى الماشية وحلبها . . وبذلك ظهر عهد الرق التالى وعهد الرق هو العهد التاريخى الذى نملك وسائل إثباته التاريخية . أما الشيوعية الأولى فهى مجرد فرض لا ترتقى الأدلة عليه إلى درجة الإثبات العلمى .

وفي وقت من الأوقات كان سكان الامبراطورية الرومانية يتكونون من طبقتين : طبقة الأحرار وتضم حوالى ربع السكان ، وطبقة العبيد وتؤلف نحو ثلاثة أرباع تلك الامبراطورية .

« وكانوا يعاملون معاملة طائها القسوة : فهم يعملون نهائراً في الإقطاعيات ، فإذا جن الليل كبلوا بالسلاسل ، وألقى بهم في الكهوف التي يقضون فيها الليل ، ويقوم عليهم حراس أشداء غلاظ القلوب ؛ وكانت العقوبات التي توقع عليهم تتراوح بين الجلد والصلب . وهذا خلاف استخدامهم كوسيلة لتسليمة السادة الأحرار ؛ وذلك بإقامة المبارزات الوحشية ، أو بحملهم على مقاتلة الأسود . وكان ذلك كله يجرى في حفلات يقبل عليها الأحرار في شغف (١) » .

ثم زال عهد الرق تدريجياً وحل محله نظام الإقطاع بعد ما تعددت ثورات العبيد على سوء المعاملة ، وقل إنتاجهم في الحقول .

« ونظام الإقطاع عبارة عن أسلوب من الإنتاج : الصفة المميزة له هي التبعية الدائمة Serfdom ويعرفونه بأنه نظام في ظلّه يلتزم المنتج المباشر نحو سيده أو مولاه بأداء مطالب اقتصادية معينة . سواء أكانت تلك المطالب تؤدي على هيئة خدمات يقوم بها ، أم على شكل مدفوعات (أو استحقاقات) يؤديها نقداً أو عيناً . ولتوضيح ذلك نقول : إن المجتمع الإقطاعي كان ينقسم إلى طبقتين : الأولى وتشمل ملاك الأبعاديات الإقطاعية ، والثانية وتتكون من المزارعين على اختلاف مراتبهم . فمنهم الفلاحون والعمال الزراعيون والعبيد . وإن كان عدد الأخيرين ظل يتناقص باطراد وبسرعة . فهؤلاء الفلاحون — أي المتبعون المباشرون — لهم الحق في حيازة مساحة من الأرض يعتمدون عليها بوسائلهم في كسب معاشهم ، وإنتاج ما يلزمهم من أسباب العيش ؛ كما يمارسون في بيوتهم الصناعات البسيطة التي تتصل بالزراعة ؛ ولكنهم مقابل ذلك يلتزمون بأمر عدة ، مثل الخدمة الأسبوعية في أرض الشريف مع آلاتهم وماشيتهم ، والخدمة الإضافية في المواسم الزراعية ، وتقديم الهدايا في الأعياد والمناسبات الخاصة . وعليهم كذلك أن يطحنوا غلالهم في المطاحن التي يقيمها الشريف ، وأن يعصروا كرومهم في معصرته . . . وكان الشريف يمارس أمور الحكم والقضاء : أي أنه يشرف على تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية بالنسبة إلى أهل منطقته ، كما أن المفروض فيه أنه مسؤول عن حماية هؤلاء الفلاحين ، ودفع العدوان عنهم . ومن هنا نجد أنفسنا أمام تبادل في الالتزامات (٢) » .

خليط من نظام الرق ونظام الإقطاع كان يسود الدولة الرومانية عند ما أشرق فجر الإسلام . أما الجزيرة العربية التى شهدت مولده ، فقد كان خليط من نظام البداوة الأولى ونظام الرق هو السائد فيها ؛ ولم تكن قد عرفت بعد شيئاً من نظام الإقطاع ، كما أنها لم تعرفه من بعد ، بسبب وجود الإسلام .

وفى مثل هذا الجو وجدت المبادئ التى لم تتغير إلى هذه اللحظة ؛ والى ما تزال فى عمومها سابقة على آخر ما عرفت البشرية من أفكار ومذاهب اجتماعية فى العصر الحديث .. وهذه وحدها شهادة قاطعة على أن النظام الاجتماعى الإسلامى هو من صنع نفسه ، بإشراف الشريعة الإلهية التى أوجدته وطورته ، لامن صنع العوامل التاريخية والاقتصادية ، كما هو الشأن فى النظم التى عرفت أوربا ، والى يتحدث عنها الماركسيون كما لو كانت نظماً عالمية ، ويعطونها صفة الجبر التى لا فكاك منها .

إنه ليس من الطبيعى - إذا صحت نظرية المادية الجدلية وفكرة الجبرية الاقتصادية - أن تولد شريعة فى عهد الرق أو فى عهد الإقطاع ، فتتضمن مبادئ لا تقف عند نظام الرق ولا عند نظام الإقطاع ، ولكن تتخطاهما معاً ، فيوجد فيها مشابهة من النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى والنظام الشيوعى - وكلها نظم لم تكن فى الحسبان يومذاك - كما توجد فيها مبادئ أخرى مستقلة عن تلك النظم كلها ، ما تزال البشرية تتطلع إلى تحقيقها وتطبيقها فى مستقبلها .

وما كان فى وسع شريعة بشرية تولد فى عهد الرق أو فى عهد الإقطاع ، أن تتضمن ما تضمنه الشريعة الإسلامية من ناحية المستقبل البشرى . بدليل أن جميع الشرائع والنظم الاجتماعية والمبادئ القانونية التى كانت سائدة فى ذلك التاريخ قد انتهى أمرها ، ولم تعد صالحة للحياة فى العصور الحديثة ، ولا ملية لحاجات البشرية الجديدة . بينما المبادئ الإسلامية وحدها هى التى تستمتع بهذه الخاصية ، لا للحاضر وحده ، ولكن للمستقبل كذلك ، لأن الكثير منها ما يزال سابقاً للنظم الوضعية القائمة .. وبذلك تسقط نهائياً حكاية الجبرية الاقتصادية وحكاية التطور التاريخى للنظم الاجتماعية على الترتيب الذى تفرضه الماركسية .

« يتبع »

خاطرة :

عَبْقَرِيَّةُ إِبْلِيسَ

فرغت الآن من قراءة قصة « أنسا كارنينا » التي كتبها الفيلسوف الروسي « ليوتولستوى » .
والحق أنها قصة مليئة حية ، وقد تأثرت بها في أكثر من موضع ، وأعجبني مقدرته الواضحة
في تحليل حركة النفس حين تضطرب ، أو يجمع بها الشك ، أو تصطدم فيها الفكرة بالناطق وبالحق .
... ولكنني خرجت منها كذلك بظاهرة لا يمكن أن تفوت قارئ هذه القصة ، هي الظاهرة التي
استمد منها تولستوى الخطوط العريضة لقصته ، بل الزوايا الدقيقة التي تتبع فيها حركة العين ،
وملامح الوجوه ، وتصافح الأيدي ، والخطوات الأولى للخطبة ... هذه الظاهرة هي « الاختلاط »
... اختلاط الرجال والنساء ، وبجالسهم معاً ، وتسامرهم معاً ، واسترسالهم في ذلك مع لذة غامضة ،
تبدأ تمارقاً بريئاً ، وتستمر سمراً شهياً ، ثم تصبح عشاً يبيض فيه الشيطان ويفرخ ، وتداف إليه
خواطر الإثم مع الكلمة الطائفة ، والتزوة العارضة ، ومع ماتفته عبقرية إبليس من أحابيل
الفتنة في أثواب زائفة ، يخدع بها الناس ، أو يخدعون هم بها أنفسهم ...
... ولأمر ما كان قول الله سبحانه : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » .. هذا الاختلاط هو الذي
انتزع « كيتي » من « ليفين » لحساب « فرونسكي » ، ثم انتزع « فرونسكي » من « كيتي »
ليهم بـ « أنسا كارنينا » ولترك هذه زوجها المخدوع محط النفس والسمة ، ولتعيش هي من بعد
في جريماتها النكراء حتى تنتحر ...

ولم أكن قد فرغت بعد من قراءة القصة حين وصلت الطائرة عصر أمس إلى « بنكوك »
عاصمة سيام ... ونزلنا في فندق KLM لنقضي ليلة ثم نواصل الرحلة إلى أندونيسيا ، وكان معانلي
الطائرة فتاتان ، إحداهما فرنسية والأخرى هولندية ، معهما أطفال شياطين ... وما إن استرحنا قليلاً
وذهبنا إلى مطعم الفندق للمشاء حتى كانت الفرنسية مع رفيق من الركاب في لباس فاضح يغازلها
وتغازله ، والهولندية في (البار) المجاور تحتسى الخمر في وضع فاجر بين رجلين من قادة الطائرة ..
والأطفال نيام لا يدرون ما يفعل أمهم ، كما لا يدرون من أي أب جاءوا ! . وذكرني ذلك بمشهد
شهدته في العام الماضي في الطائرة بين دمشق وطهران ؛ فقد كان بين ركاب الطائرة رجل وامرأة
لفنا الأنظار بفراهما الحار ، فظننتهما زوجين قليلي الذوق ، ولكنني فوجئت حين نزلنا مطار
طهران فوجدت المرأة تمرض عن الرجل كأنها لم تعرفه قط ، وتقبل على زوجها المسكين الذي
جاء يستقبلها معانقة !!

ولست بهذا أنكر أني رأيت قليلات مبهذات ، ولكن الذي أريد أن أصل إليه هو أن
شهوة النفس هي وإن ركبت الطائرة ، وأن خوالج هذه النفس لا يروضها سلطان العلم ؛
فالطيار الذي كان يصارع الريح بطائرته هو الذي عبث به الخمر في أحضان فاجرة ، ... ولكن
لا بد من وازع عميق يلجم شهوتها ... ولا بد من اعتراف بالذن التي جاء رسول الله ليقرها
في نظام حياتنا كما أقرت يد الله وضع الشمس والقمر في نظام الكون ؛ مثل قوله صلى الله عليه وسلم :
« لا يخلون رجل بامرأة إلا كان نالهما الشيطان » ومثل قوله : « لا تسافر المرأة يومين من الدهر
إلا ومعهما ذو محرم منها أو زوجها » .
لأنها سنن من يتمرد عليها يهلك ... وها قد رأيت !!

من فقه القرآن والسنة

منهج وتطبيق

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٢)

إذا كان من الضروري في هذا الزمن — أكثر من أى زمن مضى — الرجوع في الفقه إلى مصدريه العظمين الخالدين : الكتاب والسنة ؛ وإذا كان الفقه الإسلامى كما نعرفه من كتبه ومراجعته التى كتبها فقهاؤنا الأماجد السابقون ، أصبح لا يفي بكل ما نطلبه في هذه الأيام ، فإن لكل زمن حاجاته ومشاكله التى تتطلب الحلول القانونية على ضوء يناسب روح العصر . نقول إذا كان الأمر كذلك ، وجب أن نعمل في هذا السبيل بجد ، وأن نسير فيه على منهج علمى سليم ، لنصل من ذلك كله إلى ما نريد .

إن السير في علاج أى مشكلة من المشاكل ، أو في الكتابة في أى علم من العلوم ، على غير منهج واضح ومنطقي ، ليس إلا مضيعة للوقت وضرباً في متاهة لا نجد باباً فيها يسلمنا إلى الطريق المستقيم . ولم يكن « ديكارت » الفيلسوف الفرنسى المعروف ، مسرفاً فيما أنفق من زمن وجهد في وضع : « مقال عن المنهج لإحكام قيادة العقل للبحث عن الحقيقة في العلوم » ، فإنه بفضل هذا « المقال » أمكنه أن يسير في فلسفته على أساس ثابت هداه إلى كثير من الحقائق .

ومن قبل الفيلسوف الفرنسى ، نجد حجة الإسلام الإمام الغزالى^(١) يضع بكتابه الخالد : « المنقذ من الضلال » المنهج الذى يجب أن يصطنعه من يريد الوصول إلى الحقيقة التى اختلف فيها المتكلمون والفلاسفة والصوفية والرياضيون ، وبه أدرك ما عزت

(١) توفى الغزالى عام ٥٠٥ هـ — ١١١١ م ، وتوفى ديكارت عام ١٦٥٠ م . وقد بينا في رسالة لنا بالفرنسية نوقشت « بالسوربون » بباريس عام ١٩٤٨ مقدار تأثير الثانى — وغيره من الفلاسفة الغربيين في ذلك العصر — بالغزالى وابن رشد من الفلاسفة المسلمين .

عليه إدراكه بالعلوم التي شغلت بها هذه الطوائف من العلماء .
ومن أجل ذلك كله ، علينا أن نحاول منذ الآن ، قبل الدخول في الموضوع الأصيل
من هذا البحث ، تحديد المنهج الواجب الاتباع ، وهذا لتفسير على بيئة من الأمر ،
وخطى مرسومة متشعبة تؤدي بنا للغاية التي نرجوها ؛ نعى تعرف فقه الإسلام من
كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة ، بقطع النظر عن آراء هذا الفقيه أو ذاك من
أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة في الإسلام .

ونستطيع أن نحدد هذا المنهج ، الذي نرجو أن نوفق للأخذ به ، فيما يأتي :

١ — وجوب وضع كل الآيات والأحاديث التي وردت في المسألة تحت النظر معاً ،
ثم نأخذ في فهم كل منها وحدها ، وفهمها جميعاً متساندة بعد ذلك ، وإن لم يفعل
الباحث ذلك وقع في الخطأ في الاستنتاج وبيان حكم الله تعالى ، وبخاصة وبعض الأحكام —
كمنع حرمة الخمر — لم تنزل مرة واحدة ، وذلك على سبيل التدرج في التشريع .

٢ — تقديم النص المسكي على المدني ؛ « فالمدني ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على
المسكي ، وكذلك المسكي بعضه مع بعض ، والمدني بعضه مع بعض ، على حسب ترتيبه
في التنزيل ، وإلا لم يصح » ^(١) وهذا لأن المتأخر من النصوص مبني في الغالب على المتقدم
بدليل الاستقرار « وذلك ، إنما يكون ببيان مجمل ، أو تخصيص عموم ، أو تقييد مطلق ،
أو تفصيل ما لم يفصل ، أو تسكيل ما لم يظهر تكميله » ^(٢) .

والأمر في السنة كذلك « لأنها مبينة للكتاب ، فلا تقع في التفسير إلا على وفقه .
وبحسب المعرفة بالتقديم والتأخير ، يحصل بيان الناسخ من الحديث ، كما يتبين ذلك
في القرآن أيضاً » ^(٣) . فما لا ريب فيه أن اعتبار الترتيب في النزول مفيد في فهم
الكتاب والسنة ، وإهمال ذلك يؤدي إلى خطأ كبير لا يستقيم معه بحث ولا تظهر
به الحقيقة .

٣ — وبعد هذا وذاك ، يجب أن نفهم أن القرآن ، وإن كان الأساس والمصدر
الأول لتشريعة الإسلامية ، لا يدل على الأحكام الفقهية منها في الغالب من الأمر إلا على
نحو كلي لا جزئي ، لأنه ليس كتاب فقه أو قانون ولا أي علم آخر من العلوم التي
نعرفها ؛ فهو محتاج إلى كثير من البيان الذي تكفلت به سنة الرسول النوع الآخر
من الوحي ، ومن هنا كانت أهمية السنة في هذه الناحية ، وعلى هذا ، « لا ينبغي
في الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه ، دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة » ^(٤) .

(١) (٣٠٢ : ١) الموافقات للأطاطي ، ج ٣ : ٢٤٤ — ٢٤٦ ، المطبعة السلفية عام ١٣٤١ هـ

(٤) نفس المرجع ج ٣ : ٢١٧

ومن الأدلة على ذلك ، إن كنا بحاجة لدليل بعد قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » ، أن كثيراً من الأحكام الفقهية لم نعرفها إلا عن طريق السنة ، وذلك في الصلاة والزكاة والأحوال الشخصية والمعاملات وغيرها .

٤ — والكتاب نزل للناس كافة ، ولكن بلسان العرب ، فهو عربي من جهة الألفاظ والأساليب التي دأبت على ما أراد الله تعالى بيانه من المعاني والأحكام . فيجب ، عند إرادة استنباط ما جاء به من أحكام شرعية ، رعاية هذه الحقيقة قبل كل شيء .

أى على الباحث أن يسلك إلى ما يريد ، « مسلك كلام العرب في تقدير معانيها ومنازعها في أنواع مخاطباتها خاصة ؛ فإن كثيراً من الناس يأخذون من أدلة القرآن بحسب ما يعطيه العقل (أى عقل الباحث) فيها ، لا بحسب ما يفهم من طريق الوضع (أى الوضع اللغوي) ، وفي ذلك فساد كبير وخروج عن مقصود الشارع » (١) ومن البدهى أنه ليس في شيء من هذا حرج على العقل في الفهم ، بل المراد جعل العقل يسير في فهم النص من القرآن والسنة حسب أصول العربية التي جاء القرآن بها .

على أنه ينبغي أن نلاحظ أن اللغة العربية نفسها قوانينها وقواعدها ، ومن الكلام العربي مالا يفهم المراد به إلا بملاحظة ما قد يكون فيه من حقيقة ومجاز واختصار وحذف وتقديم وتأخير مثلاً . وإذا فليس لأحد أن يسارع إلى تفسير القرآن أو السنة حسب ظاهر اللغة دون رعاية ما تقدم ونحوه .

وفي هذا ، يقول الإمام القرطبي : (فمن لم يحكم ظاهر التفسير ، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية ، كثر غلظه ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأى . . ألا ترى أن قوله تعالى : « وآتيناهم ناقة مبعرة فظلموا بها » ، معناه آية مبعرة فظلموا أنفسهم بقتلها . فالناظر إلى ظاهر العربية ، يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبعرة ، ولا يدري بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم (٢)) ، إلى آخر ما قال .

٥ — وبعد ذلك ، قد يحى النص في أكثر الأحوال لبيان حكم خاص لا يقصد غيره ولو تبعاً ؛ كما في آيات وأحاديث الموارث ، وتحليل البيع وتحريم الربا ، والحدود والزواج والطلاق ، وغير هذا كله . ولكن ، قد يحى أحياناً أخرى لبيان معنى أو حكم أصلي ، مع دلالة أيضاً على معنى أو حكم تبعي من أحكام الفقه . وهنا ، يجب ملاحظة

(١) المواثيق اللغاطي ، ج ١ : ١٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ : ٢٩ .

هذه الناحية فلا تقتصر من النص على إفادته الحكم الأصلي وتترك التبعية الذي لم يأت النص لبيان قصدا .

ويمكن التمثيل لهذا من القرآن بقوله تعالى في سورة الجمعة : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ، وذروا البيع » . فإن المراد الأصلي من هذه الآية ، هو وجوب السعي للصلاة عند النداء أو الأذان للجمعة ، لا بيان أن البيع مكروه أو فاسد في هذا الوقت ، لكن هذا معنى يفهم من الآية تبعا فلا يصح إهماله .

ومن الحديث ، نجد قوله صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا » ، يفهم منه بطريق الأصالة أن الغش لا يتفق مع صفة الإسلام فلا يليق صدور من المسلم . بيد أننا نفهم منه بطريق التبعية ، أن للمشتري شيئا دخل فيه الغش والتدليس الحق في فسخ العقد ، وإن كان هذا الحكم جاء قصدا في حديث آخر . وقد نجد مثالا آخر في قول الرسول أيضاً : « إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ، فإنه لا يدرى أين باتت يده » فقد أخذ منه الإمام الشافعي أن الماء القليل ينجس إذا خالطته نجاسة قليلة وإن لم تغير منه في لونه أو رائحته أو طعمه ، وإن كان الحديث مسوقا للبحث على النظافة في كل حال .

٦ — ثم ، ينبغي لمن يطلب الفقه من الكتاب والسنة أن يتناسى قبل كل شيء مقدرات المذاهب الفقهية ، وإن كان له الاستئناس بها أخيراً ، ليكون حراً في الاستنباط . لأنه من الخطأ في النهج ، وهو يحاول معرفة الفقه من مصدريه الأصليين العظميين ، أن يتخذ لنفسه مذهباً معيناً ، ثم يعمل على الاستدلال له من القرآن والحديث . إن مثل هذه الحطة قد تؤدي إلى تأويل بعض الآيات والأحاديث لتوافق المذهب الذي اختاره ، أو الذهاب إلى أن مالا يوافقه من الحديث مثلاً قد نسخ أو فيه ضعف أو نحو هذا من العلل التي تمنع الاحتجاج بالحديث .

ولعل من أوضح المثل لذلك مسألة الشفعة . هل هذا الحق للشريك وحده ؟ أم له وللجار أيضاً ؟ ثم ، هل الشفعة في العقار وحده ؟ أو فيه وفي المنقول أيضاً وإن بيع استقلالاً لا تبعاً للعقار ؟ . هنا نجد الفقهاء يختلفون اختلافاً كثيراً ، ونجد كلا منهم — وقد اعتقد صحة مذهبه — يرد أو يؤول الأحاديث والآثار التي لا تشهد له (١) .

(١) راجع في ذلك كتابنا : « الأموال ونظرية العقد في الفقه الإسلامي » من ٢٠٥ وما بعدها

٧ — واختلاف البيئات والأزمان والأعراف له حكمه في التشريع بلا ريب ، مع رعاية الشروط التي عني الأصوليون والفقهاء بوضعها لاعتبار العرف دليلاً أو أصلاً للأحكام الفقهية . لذلك ، من الضروري أن نلاحظ ذلك في الاستنباط والتطبيق ، ولا شيء علينا في اعتبار العرف ما دمنا ندور في فلك كتاب الله وسنة رسوله .

من ذلك كله ، نرى أن أخذ الفقه مباشرة من هذين المصدرين المقدسين ، يتطلب بلا ريب حذراً شديداً ، وأن يكون الباحث قد تهيأ لهذا الأمر الخطير بما يجب له من علوم ودراسات لا بد منها ، وإلا ضلّ وأضل من يسمع له ، وقد يكون مع هذا كله يسير في بحثه على منهج علمي سليم ، فمن الخطر إذن ، وبما يجب ألا يسمح به بحال ، أن يترك الأمر فوضى بلا ضابط أو منهاج ؛ كما نسمع كثيراً هذه الأيام ممن يدعون كل من يستطيع قراءة القرآن والحديث إلى الرجوع إليهما ، وإلى ترك التراث العظيم الخالد الذي تركه لنا الأئمة الفقهاء الأعلام رضوان الله عليهم جميعاً .

ونرى من الخير بعد كل ما تقدم ، أن نشير هنا إلى بعض المراجع المعتبرة التي تفيد الباحث في فقه الكتاب والسنة ، وهي :

- ١ — أحكام القرآن للشافعي ، جمع الإمام الحافظ البيهقي المتوفى عام ٤٥٨ هـ صاحب السنن الكبرى ، نشر عزت العطار الحسيني بالقاهرة عام ١٩٥٢ م ، وهو في جزئين .
- ٢ — أحكام القرآن للإمام الرازي الجصاص الحنفي المتوفى عام ٣٧٠ هـ ، وهو في ثلاثة أجزاء طبع الآستانة عام ١٣٢٥ هـ ، وفي عرضه لآيات يذكر ما يتصل بهامن الحديث .
- ٣ — أحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي المذهب المتوفى عام ٥٤٢ هـ وهو في جزئين طبع السعادة بالقاهرة عام ١٣٣١ هـ

- ٤ — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المالكي المتوفى عام ٦٧١ هـ ، وهو في عشرين جزءاً ، طبع دار الكتب المصرية

- ٥ — السنن الكبرى للبيهقي الشافعي المتوفى عام ٤٥٨ هـ ، وأحاديث المعاملات في الجزئين الخامس والسادس ؛ طبع حيدر آباد الدكن بالهند عام ١٣٥٢ هـ .

- ٦ — شرح الإمام النووي الشافعي على صحيح مسلم ، المتوفى عام ٦٧٦ هـ ، الجزء الرابع .

- ٧ — فتح الباري لابن حجر الشافعي المتوفى عام ٨٥٢ هـ ، على صحيح البخاري ، الجزء الرابع .

- ٨ — سبل السلام للمصنف المتوفى عام ١١٨٢ هـ ، الجزء الثالث .

- ٩ — نيل الأوطار للشوكاني المتوفى عام ١٢٥٥ هـ ، الجزء الخامس .

رسالة لم تُنشر

للأمير شكيب أرسلان

« منذ اثنتين وعشرين سنة أرسل فقيه الإسلام الأمير شكيب أرسلان مقالات في الصحف الإسلامية عامة والصحف المصرية خاصة تدد فيها عظام الطليان في ليبيا وألب عليهم العالم الإسلامي أعنف تأليب ، فهب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها محتجون على تلك الفظائع ويستنكرونها ويتداعون إلى مقاطعة إيطاليا ، وقد كتب يوم ذاك الأستاذ المجاهد السيد أكرم زعيتر إلى الأمير المقيم في سويسرا يحذره من غدر الطليان ، ثم يسأله عن الطرق الواجب اتباعها لتحرير الإسلام والمسلمين ، فتلقى منه هذه الرسالة الرائعة التي تعد من نفائس ما خلفه الأمير الفقيه — رحمه الله — وقد أثر بها الأستاذ زعيتر (المسلمون) شكر الله له . . . »
التحرير

لوزان ١١ مايس ١٩٣١

جناب ولدنا الأعز الأفاضل السيد أكرم زعيترا المحترم أزه الله .
تناولت رقيعكم وفهمته وشكرتكم كثيراً .

يا ولدي إن الذي نحن فيه هو جهاد ، والجهاد هو الحرب فهل رأيت جندياً يذهب إلى الحرب لأجل القتال ويقول : لعالمها جاءني رصاصة ؟ إن الداهب إلى الحرب وطن نفسه من قبل على الرصاصة وغيرها .

لما خرج مصطفى كمال على الإسلام وأخذ يهدمه فمع المودة التي بيني وبينه لم أتوقف عن الشروع في هدمه على حين لم يكن أحد يجرأ أن يذكره بسوء حق في بلاد العرب . فقلت لي : إن هؤلاء الأتراك حالمهم معلومة في الفتك فقد يرسلون من يعتدى عليك . . فقلت : إن كنت سأفكر في أشياء كهذه فلا أقدر أن أدافع عن الإسلام أبداً . ولم أفكر في هذا الخطر .

ثم لما حصلت مسألة البربر ونشرت جريدة الطان أن أصل الحركة عليها وفصلها هما منى وسمعت أشياء كثيرة . . . قيل لي الشيء نفسه فأجبت بالجواب نفسه .
وأما إيطاليا فأخبار فظائرها عندي من زمان ، ولكني صابر متحمل رعباً لمودة بيننا وبين موسوليني ومقالات كان كتبها لنا لما كان محرراً « لبوبولو ديتاليا » ، وكان كتب لي البشير السعداوي رئيس اللجنة الطرابلسية البرقاوية بالشام مراراً حتى أعضدتم فقلت

لوزان ١١ مايس ١٩٤١

جناب ولدنا العزيز الافضل السيد اكرم زعيتر المحترم اعزه الله

تناولت رقيكم وفهمته وشكرتكم كثيراً .

يا ولدي ان الذي نحن فيه هو جهاد : واجهاد هو الحرب . فهل رأيت جندياً يذهب الى الحرب
لرجل القتال ويقول : لعلها جاءتني رصاصة ؟ ان الذهاب الى الحرب وطن نفسه
من قبل على الرصاصة وغيرها

لما خرج مصطفى كمال على الاسلام واخذ يهدمه فمع المودة التي بيني وبينه لم اتوقف عن
السروع في هدمه على حين لم يكن احد يجرأ ان يذكره بسوء حتى في بلاد العرب . فقبل
لي : ان هؤلاء الزناك حالهم معلومة في الفلك فقد يرسلون من يعتدي عليك ...
فقلت : ان كنته سافكر في اسياء كهذه فلا اقدار ان ادفع عن انفسهم ابداً . ولم

اذكر في هذا الخطر

ثم لما حصلت مسألة البربر ونشرت جريدة الطنان ان اصل الحركة عليها وفصلها
هامني . وسمعت اسياء كثيرة . قيل لي الشئ نفسه فاجبت باجواب نفسه

واما ايطاليا فاعبار فظائرها عندي من زنان . ولكن صابر تتحمل رعباً لمودة بيننا
وبين موسوليني ومقالات كان كتبها لنا لما كان محرراً للبومبولديتاليا . وكان كتب لي
البشير السعداوي رئيس اللجنة الطرابلسية البرقاوية بالسام مراراً حتى اعظمهم فقلت

« سورة زناكرافية لأول الخطاب بخط الأمير الفقيه رحمه الله »

له : يا أخى ضاقت علينا الأرض بما رحبت . إنكلترة ضدنا . فرنسا ضدنا . تركيا ضدنا . الأجانب كلها ضدنا . ثم تثير عداوة إيطاليا من جديد . ونستحي من موسوليني لأنه سبق له مساعدة لقضيتنا ، فانشروا أنتم ما شئتم وأنا أساعدكم بالمساعي وبالنشریات بدون إمضاء لى ، وفعلنا كنت أنشر بغير إمضاء لى .

ثم تفاقمت أفعال إيطاليا . فما استطعت الكتمان ونشرت فى « لانسيون آراب » مقالة انتقاد مع الاعتدال ، ونهت موسوليني للأخذ على أيدي قواده .

ثم تفاقمت فظائع إيطاليا ؛ فلم أستطع صبراً ، وقبل أن أكتب فكرت فى كل شىء ، ولم أكن لأجهل أعمال الفاشيست وتشكيلاتهم الخفية وإعلانهم التوصل إلى محو أعدائهم بكل وسيلة ، ولكنى قلت : إن بقيت أحسب هذه الحسابات لا أقدر أن أدافع عن الإسلام دفاعاً مؤثراً ، والمسألة وصلت إلى حد لا يطاق ، وإذا جرت هذه الفظائع بالطرابلسيين وسكت لها المسلمون جرت فى سائر الأماكن لأن أكثر العالم الإسلامى مستعمرات ، وإن لم يكن جميع الأوربيين فى سفالة الطليان فالفرق قليل ، ومن الغريب أن الإفرنج ينظرون إلى الإسلام فى كل محل كأنه ساكن بقعة واحدة ، وهم يحسون نبضه فى كل قطر حتى يعرفوا كيف يعاملونه فى القطر الإسلامى الذى تحت ولايتهم . تأمل أن فرنسا أرسلت بعثة طويلة عريضة أنفقت عليها أموالاً لأجل البحث عن أهمية الإسلام فى الصين ، وهل هو هناك كثير العدد كما يقال أم لا ؟ لأن الأقوال اختلفت . فأنت ترى أنها لأجل سياستها فى مسلمى المغرب تريد أن تزن قوة الإسلام حتى فى الصين إذ هم لا يعلمون الإسلام إلا كتلة واحدة ، ومثل فرنسا إنكلترة وهولاندة والروسية وإيطاليا وأسبانيا والجميع .

فرايت أن السكوت عن أعمال إيطاليا هذه سقوط لنا فى كل محل ونهايته محو مسلمى طرابلس وبرقة ، ورايت أن الجمعية الطرابلسية البرقاوية قد نشرت مراراً ولم يتنبه أحد ولا أكثر . فعند ذلك نبذت إلى إيطاليا بدون مداراة ولم أخش الضراء وقلت : وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، ولو لم أفعل هذا ولو لم أكتب هذا البيان ما قام الناس وقعدوا لهذا الخطب وأثبتوا نهضة إسلامية أكيدة انتهت لها الدول التى كانت تظن أن الإسلام بعد إلغاء الخلافة وإلحاد تركيا تفكك تماماً وتلاشى . فالآن عرفوا أنه حى وأنه متكافل ، وأن إلحاد تركيا لم يقدم ولم يؤخر شيئاً .

فهذه نتيجة تلج لها صدرى وصدر كل مسلم مخلص ذى شعور ناظر للعواقب

وستكون فاتحة خير إن شاء الله . فأما احتراسي لنفسي فلا يمكن لأنه إن كان مقدراً أن يغدر بي غادر فلا أقدر أن أمنعه لأنني أخرج كل يوم وأتناول الشاي خارج بيتي وأتمشى ساعتين . ولولا هذه النزهة اليومية ما كان يمكنني أن أكتب كل يوم مدة ٨ ساعات وأقرأ ٥ ساعات هذا بدون انقطاع .

نعم لست بعد الآن ذاهباً عن طريق إيطاليا إلى محل فإن سافرت مرة إلى الشرق — إلى الحجاز واليمن إذا لا أقدر أن أدخل غيرها — فلا أركب البحر إلا من ألمانيا أو بلجيكا أو بلاد اليونان . هذا كل ما أقدر أن أحتاط به وأظن أن الفاشيست يفكرون أنهم إن اغتالوني فالمسلمون يجدون قناصل وسفراء لإيطاليا في بلادهم لا يعجزهم اغتيالهم .

نعم اعلم يا ولدي أن من خاف من شيء سلطه الله عليه فأنا لا أخاف ولا أحب أن أخاف ، وموسوليني ومصطفى كمال وأمثالهما عندما يقرأون ترجمة كلامي أو ما أكتبه بالفرنسية رأساً يعلمون أنه ليس بكلام من يحسب لهم حساباً والله خير حافظاً .

تكذيبات الطليان ولو كانت كاذبة دالة على أنهم اضطربوا لهذه الحركة وأنهم علموا أن جسم الإسلام لم يشل وأن آمالهم في الاستيلاء على اليمن بتخدير أعصاب العرب صارت ضعيفة . ولقد اعتبر بهذه الحركة الإنكليز واليهود والفرنسيون أيضاً ووصل خبرها إلى أوروبا . نعم لا يزال بعض الفرنسيين يقولون إن مصدر حركات العالم الإسلامي كلها من لوزان ... وأمس بلغني أن جريدة « البوند » التي تصدر في عاصمة سويسرة والتي هي من أهم الجرائد قالت شيئاً من هذا . وبعثت في طلب العدد . ولكن هذا لا يغير من جوهر الحقيقة شيئاً . فالحقيقة أن الإسلام متضامن متكافل حتى مستيقظ باغ للنهوض ، فإذا كان كاتب مضى عليه ٤٥ سنة وهو يخاطب المسلمين ويدافع عنهم من شأنه أن يحركهم بمقالة فليس هذا إلا دليلاً على رقة شعورهم وشدة انتباههم لكل ما عس الإسلام وأنه لهم ثقة بمن صدقهم القول من ٤٥ سنة .

الحركة البربرية كانت أول نتائجها نشاط المغاربة واندفاع شبانهم للعمل ، وهذه بذاتها نتيجة كافية لأن المساكين كانوا من قبل في حال اليأس لا يبدون ولا يعيدون . فالآن الحركة عمت عندهم جميع الطبقات . وجريدة الطان اضطرت أن تعترف « أن المغرب بدأ يسير على خطة مصر وسورية . نعم تأخر لكنه عاد فتعقب الطريق نفسها » والآن المراقبة من أشد ما يكون على طلبة المغاربة يباريز الدين يقولون لهم دائماً : أنتم تسيرون بإشارة شكيب أرسلان .

ولكن كل هذا غير ثانٍ من عزم هذه الناشئة المباركة المغربية .
وكانت النتيجة الثانية أن « المسألة البربرية » وجدت الآن شامت فرنسا أم أبت .
وبدأ كتاب من الفرنسيين يخوضون فيها منهم ضدنا ومنهم معنا . وأن حزبا غير قليل
ينتقدون هذا الظهير ويطلبون إلغاءه . ومجملتنا « لانسبون آراب » تُقرأ بكل اهتمام
وتعتبر هي نبض الأمة العربية . هذا يبلغنا من باريس . وكل مركز عال سياسى من
مراكز الحكومة الفرنسية يرسل بدل اشتراكها سلفا ويطلبها .

نعم فرنسا تخشى من إلغاء الظهير ازدياد الجرأة على مطالب أخرى سياسية فلهذا
لا تزال تردد في إلغائه . ولو حصلت المقاطعة الفعلية لبضائعها واشتدت الحركة عليها في
العالم الإسلامى لم يكن لها مناص من إلغاء الظهير . فالمقاطعة والاحتجاج هما الآن أحد
أسلحتنا فلنرهب هذه الأسلحة . أفلم نرا الهند كيف نالت ثلاثة أرباع مطالبها بها ؟ ومسألة
الهند هي أعظم مسألة استعمارية في الدنيا .

تسألوننى رأى فى الطرق الواجب اتباعها لتحرير الإسلام وإنهاضه .

ومرادى أن أحرر بعد رسالة « لماذا تأخر المسلمون ؟ » رسالة أخرى اسمها
« هذا هو الداء فما الدواء ؟ » تكون تنع للاولى ، لكنى سأصدرها بعد أن تنفذ
نسخ الأولى .

نحن أمة كسائر الأمم . بشر كسائر البشر . نتبع طرق الأمم التي كانت فقدت
استقلالها ثم استقلت . أممنا اليونان . البلغار . الصرب . الفلاخ والبغضان . المجر
التشيك . الطليان أنفسهم . بولونيا . فنلاند . ليتوانيا . لتونيا . استونيا . إيرلاندا .
سويسرة من قديم . كتالونيا هذه المرة . أمريكا الشمالية . أمريكا الجنوبية بجميع
أقسامها وهلم جرا .

كل هذه الأمم كانت استولت عليها أم أجنبية عنها وأسقطت حكوماتها وصارت
ترهقها ، وكل هذه الأمم عادت فطردت الأجنبي واستقلت : منها بعد ٥٠ سنة من سقوطها
ومنها بعد ١٠٠ سنة ومنها بعد ٢٠٠ ومنها بعد ٥٠٠ سنة الخ .

نحن نسلك طريقهم لا غير . طريقهم أنهم بعد أن انقرضت حكوماتهم ودولهم عمدوا
إلى الجمعيات . . . جمعيات منها سرية ومنها علنية قانونية . فهذه قامت لهم مقام دولهم .
فقام الفكر مقام السلطة . قامت السلطة الشعبية مقام السلطة الأجنبية الحاكمة ولم تزل
تتقوى حتى تناولت السلطة القانونية باسم الوطن . فالجمعيات وهي ما يسميه الترك

بالتشكيلات هي طريق الخلاص . جمعيات خفية . جمعيات قانونية . لجان . شركات . نقابات . كل هذه التشكيلات سواء كانت خيرية أو علمية أو اجتماعية أو تجارية أو صناعية أو زراعية قوى للوطن ومنابع حياة له . وهذه الجمعيات لها صناديق . وهذه الصناديق وجودها يعلم البذل أو ما يعبر عنه بالتضحية ، فإذا صارت في الوطن الواحد عدة جمعيات وشركات ولجان ، وكل واحدة منها لها صندوق ملآن صارت في الوطن عدة قوى أو عدة أجنحة تنهض به . وقد تعاكسها السلطة الأجنبية الحاكمة وتحاول خنقها ، لكنها إذا قويت وكثرت تعجز عن ذلك فتضطر إلى الاعتراف بها وربما إلى الاستنجااد بها في الأحيان . عندكم أنتم في فلسطين المجلس الإسلامي . المؤتمر الفلسطيني . ولجنته التنفيذية . جمعية الشبان المسلمين . . . الخ . هذه غير كافية لكن لولاها كانت حالتكم أسوأ جداً لأنها على كل حال هي أجنحة لكم .

فإذا تعددت هذه التشكيلات ولا سيما إذا كانت صناديقها ملأى كان بها الوطن ملآن حياة فصار في مجموع العالم الإسلامي أشبه بعضو قوى ملآن دماً في جسم الإسلام ، ويكون القطر الآخر الذي بجانبه على نمطه والقطر الآخر والقطر الآخر وهم جراً من أول العالم الإسلامي إلى آخره . وهي الطريقة الإقليمية regionaliste أى أن كل إقليم يبدأ أولاً بنفسه ويوطد مداميك حائطه ، فإذا رأى نفسه تقوى وإرتاش وصار قادراً على النهوض التفت إلى جاره ومد يده إليه .

وأما الجامعة بين هذه الأقطار فهي طبيعية حاضرة أقرب من جبل الوريد ، وما دام القرآن موجوداً لا يخشى عليها فبمجرد إشارة واحدة من أحد هذه الأقطار يتحرك الجميع كأنها ثريا كهربائية تضيء بحركة زر واحد . لكن لا غفلة من مجرد الحركة إن لم تكن الأقطار كلها ملأى حياة محلية ، أو الأفواه الكهربائية كلها ملأى نوراً .

فإذا كان كل من الأعضاء ملآن حياة تألف منها جسم نشيط وثيق قوى سريع ناهض جميع ما فيه يؤدي ما عليه تماماً فتال مراده في هذه الحياة .

وبعبارة أخرى إذا كانت سورية وفلسطين ومصر والعراق ونجد والحجاز واليمن والسودان والحبشة والصومال وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش والمهند والجاوا الخ . الخ كلها فيها هذه الجمعيات والشركات والنقابات والهيئات الممثلة للشعوب وكانت قائمة بوظائفها حق القيام فتصير إذا تحركت بحركة واحدة لقضية البربر أو قضية طرابلس أو غيرها تجد الأجانب لحركة هذه الأقطار نتائج فعلية عملية سريعة مؤثرة

عامة شاملة فتخشى مصادمتها ومقاومتها وتنقاد لمطالبها لأنها تعلم أن وراء مصادمتها فتناً وغوائل عظيمة .

فالتشكيلات هي قوة كل أمة فقدت حكومتها وكيانها السياسي .
وهي الزعيمة مع الثبات والعزم وإتقان العمل وروح التضحية بإعادة ذلك
الكيان السياسي .

وقد كان العالم الإسلامي قبل الحرب العامة معتمداً على الدولة العثمانية يراها كل
شيء ويطلب منها كل شيء ويظن نفسه مستريحاً بوجودها .
وكان المسلم لا يفكر ولا يريد أن يفكر في مسائل الإسلام العامة اعتقاداً بأن هناك
دولة كبرى وخلافة هي المرجع لكل هذا وأنها ناظرة إلى كل شيء .
وصار هذا الاعتقاد وسيلة للمسلم أن يكسل ويهمل ويقول لنفسه مالى ولاهتمام بما
يهم به من هو أولى وأقدر منى ، وربما قال بما لا يعنى . فهذا الاعتقاد أضر الخلافة
وأضر العالم الإسلامي نفسه .

أضر الخلافة لأنه حملها كل شيء من الفيليين إلى الغرب وألقى كل المهام عليها
فجزت ورزحت تحت الحمل حتى عجزت عن حفظ ما هو بيدها فضلاً عن البعيد .

وأضر نفسه لأنه بتخيل أن كل المهام قائمة بها الخلافة في استانبول أهمل كل مسمى
وكل عمل ، وصار ينظر إلى نفسه كقاصر ليس له أن يهتم بشيء مع وجود وليه ، فصارت
الدولة ضعيفة وصار العالم الإسلامي ضعيفاً وصار ضعف كل منهما يزيد ضعف الآخر ،
وصار الحال أشبه بجسم جميع أعضائه شلاء أو مصابة ؛ فالرأس مهما كان مفكراً
لا يستطيع مع ضعف الجسم كله شيئاً .

فصار الناس الذين لا يدققون في أسرار الأمور أو الذين في قلوبهم مرض
يقولون : إن هذا الضعف إنما جاء من الخلافة . وأقنعوا بهذه السفسطة كثيراً من
البله أو السذج . يقضى على اللز في أيام محنته ...

والحقيقة لو كانت أقسام العالم الإسلامي كلها مملأى حياة لكانت الدولة العثمانية أقوى
دول الأرض إذ كانت رأساً لثلاثمائة وخمسين مليون آدمى كل واحد منهم قائم بوظيفته
في نصرتها ، ولكنها كانت رأساً لثلاثمائة وخمسين مليوناً منهم ٣٠٠ مليون تقريباً في
حكم القاصرين ؛ فماذا يفيد القاصرون مهما كثروا ؟

فالآن يجب علينا أن نؤسس من تحت . يجب أن نربي الفرد الإسلامي فنخرجه

فرداً عاملاً قائماً بالواجب عليه سواء كان زارعاً أو صانعاً أو تاجراً أو حاكماً أو معلماً أو مصلياً الخ . . . ومن مجموع الأفراد القائمين بما عليهم حق القيام يتألف البلد الزاهر الراقى . ومن مجموع البلدان الزاهرة الراقية تتألف المملكة القوية للمهية التي لا تحصل على القوة إلا حصلت على الاستقلال لأن هذين لازم وملزوم .

ومن مجموع الممالك القوية للمهية يتكون حينئذ رأس هو الخلافة إذا استقلت به إحدى دول الإسلام كانت رأساً تطاطى له الرؤوس .

وليس بضروري أن سائر أقسام العالم الإسلامي تصير ولايات تابعة لدولة الخلافة فهذا لن يكون ولا ينبغي السعى له . إنما إذا كانت تلك الأقسام كلها سليمة نشيطة عاملة جادة كان من نصرتها للخلافة مادة ومعنى ما يجعل هذه في غاية المنفعة .

انظر إلى سلطنة انكلترة وقوتها بواسطة بريطانيا العظمى والدومينيون والهند برغم أن من الأربعمائة مليون الذين تحت سلطة ملك انكلترة نحو ٣٥٠ مليون هم في الواقع أعداء لانكلترة ، والإنجليز العاملون لمجد هذه السلطنة هم ٥٠ مليوناً لا غير . إلا أنهم كأفراد أو أعضاء قائمون بكل ما يجب عليهم نحو الجسم .

فالعالم الإسلامي إذا نهض تكون قلوبه كلها مع الخلافة لا كمستعمرات انكلترة مع ملك الإنجليز . هذا هو مذهبي في النهضة الإسلامية ولذلك تأتيني كتب كثيرة من المغرب وجاءوا ومصر وسورية والعراق ونفس فلسطين بلدكم مقترحاً أصحابها عقد مؤتمر إسلامي أو انتخاب خليفة وما أشبه ذلك .

ويكون جوابي دائماً يجب أن تؤسس من تحت . يجب أن تربي الفرد ثم البلد ثم القطر ثم المملكة ثم العالم الإسلامي . ويقولون إن تعليم الأفراد وترقية الأقطار هما مما يأخذ وقتاً طويلاً ونحن في حاجة إلى العجلة . وأجواب أن التعليم بطبيعة الحال سائر مع التشكيلات التي ذكرناها إذ لا خير في تشكيلات إن لم يكن أول شيء تبدأ به هو التعليم والتهذيب . أما أن نعقد مؤتمراً مجموعاً من ضعفاء ليس لهم إرادة مستقلة وهم لا يقدر أن ينفذوا قراراً فما فائدة ذلك ؟ أريد نحن أن نجتمع أصفاراً ؟

اجتمع المؤتمر الإسلامي في مكة منذ خمس سنوات وقرر إعادة العقبة ومعان إلى الحجاز وسكة حديد الحجاز كلها إلى المسلمين . فهل نفذ شيء من ذلك ؟

ولم ذلك ؟

الجواب لأن الدول الأوربية يعلن ضعف العالم الإسلامي فلا يبالين بقراراته . فأما

إذا صار قويا — وهن يجسطن نبضه كل يوم — فتراهن تلقين قراراته حالا بالسمع والطاعة، ثم إن من جملة ضعف العالم الإسلامي أن الدين جاءوا إلى ذلك المؤتمر أول سنة لم يجتمعوا فيه ثانی سنة . وأی ضعف وأی تحاذل أكثر من هذا ؟

أخذ معي هذا المکتوب أربع ساعات وحملت نفسي عليه برغم ضيق وقتي نظراً لأهمية الموضوع . فاقراؤه للمخلصين من المفكرين والمهتمين بمستقبل هذه الأمة ، واشكروا لي عواطف النابلسيين الكرام بحقي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المخلص

شكيب أرسلان

26 Avenue Des Alpes
Lausanne.



أخذ معي هذا المکتوب أربع ساعات وحملت نفسي عليه برغم ضيق وقتي نظراً لأهمية الموضوع . فاقراؤه للمخلصين من المفكرين والمهتمين بمستقبل هذه الأمة واشكروا لي عواطف النابلسيين الكرام بحقي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص
شكيب
أرسلان

26 Avenue Des Alpes
Lausanne

• سورة زنا - كفرافية لآخر الخطاب بخط الأمير الفقيه رحمه الله •

النشرية الجنباني الاسلامي

للأستاذ عبد القادر عوده

أركان السرقة

(٢)

أنواع الأخذ خفية : والأخذ خفية على نوعين : فهو إما أن يكون أخذا مباشرا ، وإما أن يكون أخذا بالتسبب .

الأخذ المباشر : هو أن يتولى السارق أخذ المتاع وإخراجه من الحرز بنفسه ، أو أن يؤدي فعله المباشر إلى إخراج المسروق من الحرز ، كأن يدخل الحرز فيحمل المسروق أو يلقي به إلى الخارج أو أن يدخل يده في الحرز فيأخذ المسروق أو يلتقطه بمحجن أو أن يطر جيبا فيسقط منه المال أو ينقب حرزا فيه طعام أو حب فينثال منه إلى الخارج .

والقاعدة عند جمهور الفقهاء أنه كلما أدى فعل السارق المباشر إلى إخراج المسروق من الحرز فإن شروط الأخذ خفية تعتبر تامة ويقطع السارق في السرقة^(١) ، إلا أن بعض الفقهاء يجعل لهذه القاعدة استثناءات سنتحدث عنها فيما بعد .

أما إذا ضبط السارق قبل أن يخرج المسروق من الحرز ، أو قبل أن يؤدي فعله إلى إخراجه فلا قطع عليه إلا في رأي الظاهريين وخدم ، لأنهم يعتبرون السرقة تامة بمجرد تناول الجاني للشيء المسروق .

وأساس الفرق بين الظاهريين وغيرهم ، أن الظاهريين لا يعتبرون الحرز إطلاقا ولا يفرقون بين السرقة من حرز وغير حرز فالمسروق عندهم يصبح في حيازة السارق بمجرد أن يتناوله ، أما بقية الفقهاء فيعتبرون الحرز ، ولهذا اقتضى منطقهم أن لا تتم السرقة إلا بالإخراج من الحرز .

وإذا ضبط السارق بعد إلقاء المتاع المسروق خارج الحرز وقبل أن يخرج من

(١) شرح الزرقاني ج ٨ ص ٩٨ - شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٤١ - المهذب ج ٢ ص ٢٩٧ -

المغني ج ١٠ ص ٢٥٩ - شرح الأزهاري ج ٤ ص ٣٦٧

الحرز لأخذه ، فيرى أبو حنيفة أن الأخذ لم يتم لأن المسروق وإن كان قد أخرج من الحرز ومن حيازة المجنى عليه إلا أنه لم يدخل في حيازة السارق الفعلية ، أو لأن يد السارق لم تثبت على المسروق فلا يعتبر في حيازته فعلاً^(١)، ولكن الرأي الراجح في المذهب على اعتبار الشيء في حيازة السارق حكماً بإلقائه ما لم تكن هناك يد معترضة : أى شخص آخر يضع يده على الشيء^(٢) وهم متفقون على قطع السارق فيما ألقاه خارج الحرز ثم خرج فأخذه ولا يخالفهم في هذا إلا زفر . وقد بينا سبب خلافه من قبل .

ويرى بقية الأئمة ومعهم الشيعة الزيدية أن الشيء المسروق يدخل في حيازة السارق حكماً بمجرد إلقائه إلى خارج الحرز ، وأن الحيازة الحكمية تكفي لاعتبار الأخذ تاماً كالحيازة الفعلية سواء بسواء ، فإذا ألقى السارق بالمسروق خارج الحرز فقد تمت السرقة سواء خرج السارق فأخذه أو وجد غيره قد استولى عليه ، وسواء ضبط السارق قبل خروجه من الحرز أم لم يضبط ، إلا أن مالكا تردد في اعتبار السرقة تامة في حالة ضبط السارق داخل الحرز بعد إلقاء المسروقات خارجه ، ولكن فقهاء المذهب على اعتبار السرقة تامة^(٣) .

وإذا أخرج السارق المتاع المسروق من بعض الدار إلى ساحتها فلا يعتبر الأخذ تاماً ، لأن الدار جميعها حرز واحد ، ولأن المتاع لم يخرج بعد من الحرز ، ولا يخالف هذا إلا الظاهريون ، لأنهم لا يعتبرون الحرز . والسرقة تتم عندهم بمجرد تناول السارق للشيء المسروق ولو لم يبرح مكانه .

أما إذا كانت الدار مكونة من بيوت أو غرف مستقلة يعتبر كل منها مسكناً مستقلاً ، فالأخذ من أحد البيوت أو الغرف يعتبر تاماً إذا أخرج السارق المتاع المسروق إلى ساحة الدار المشتركة أو ضبط فيها ومعه المسروقات ، لأن كل بيت أو غرفة حرز مستقل وليس له علاقة بساحة الدار ، فإذا أخرج السارق المسروقات إلى ساحة الدار فقد أخرج المسروق من حرزه^(٤) .

وإذا استهلك الجاني الشيء أو أتلفه داخل الحرز فهو متلف للشيء لا سارق له ،

(١) بدائع الصنائع ج ٧ ص ٦٥

(٢) شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٤

(٣) المدونة ج ١٦ ص ٧١ — شرح الزرقاني ج ٨ ص ٩٨ — المهذب ج ٢ ص ٢٩٧ — المغني

ج ١٠ ص ٢٥٩ — شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٦٧

(٤) نهاية المحتاج ثامن ص ٤٣٩ — المهذب ج ٢ ص ٢٩٧ — المغني ج ١٠ ص ٢٦٠ —

كشف القناع ج ٤ ص ٨٠ — بدائع الصنائع ج ٧ ص ٦٦ — شرح فتح القدير ج ٤ ص ٣٤٣

شرح الزرقاني ج ٨ ص ١٠٠ — مواهب الجليل ج ٦ ص ٣٠٨

فأما إذا خرج بشيء منه بعد استهلاكه أو إتلافه فهو سارق لما خرج به إذا بلغ نصاباً وتقدر قيمة المسروق بما خرج به لا بما أتلّفه ، وهذا هو الرأي في مذهب مالك والشافعي وأحمد ، وبه تأخذ الشيعة الزيدية^(١)

ويرى أبو حنيفة ومحمد نفس الرأي ، ولكن أبا يوسف يرى أن من أتلّف الشيء داخل الحرز ثم خرج بما قيمته نصاباً مما أتلّف فإنه لا يقطع ، لأنه بالإتلاف ضمن قيمة الشيء ، والمضمونات تملك عند أداء الضمان أو اختياره من وقت الأخذ فلو ضمن السارق قيمة المسروق للملكه من وقت الأخذ ، فإذا قُطع قُطع في ملك نفسه^(٢) .

وإذا ابتلع الجاني المسروق داخل الحرز فيفرقون بين ما يفسد بالابتلاع كالطعام والشراب وبين ما لا يفسد به كالجواهر والنقود ، فأما ما يفسد بالابتلاع فلا يعتبر ابتلاعه أخذاً : أي سرقة ، وإنما يعتبر إتلافاً ويعاقب عليه بعقوبة التعزير ، وأما ما لا يفسد بالابتلاع ففيه آراء :

أولها : أن الابتلاع يعتبر استهلاكاً للشيء فهو إتلاف لا سرقة ، وتظهر وجهة هذا الرأي في حالة ما إذا لم يخرج الشيء من جوف الجاني وبقي به ؛ وعلى هذا الرأي الأحناف وبعض الحنابلة .

ثانيها : أن الابتلاع يعتبر أخذاً كما لو أخرج السارق الشيء في وعاء ، وتظهر وجهة هذا الرأي في حالة خروج المسروق من جوف الجاني ؛ وعلى هذا الرأي المالكيون^(٣) وبعض الشافعيين .

ثالثها : يفرق بين خروج المسروق بعد ابتلاعه وعدم خروجه ، فإن خرج فالفعل سرقة وإن لم يخرج فالفعل إتلاف ؛ وعلى هذا الرأي جمهور الشافعيين^(٤) والحنابلة . وإذا استهلك الجاني أو ابتلع بعض الشيء ثم خرج ببعضه الباقي فهو متلف لما استهلك أو ابتلع إن كان الشيء مما يفسد بالابتلاع ، وهو سارق لما خرج به من الحرز إذا تمت فيه شروط الأخذ خفية مع مراعاة وجوه الخلاف والآراء التي سبق عرضها .

(١) المغني ج ١٠ ص ١٦١ — المهذب ج ٢ ص ٢٩٧ — أسنى المطالب ج ٤ ص ١٣٨ — مواهب الجليل ج ٦ ص ٣٠٨ — شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٦٤

(٢) شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٦٤ — بدائع الصنائع ج ٧ ص ٧٠ ، ٧١ ، ٨٤

(٣) شرح الزرقاني ج ٨ ص ٩٩

(٤) أسنى المطالب ج ٤ ص ١٤٨ — المهذب ج ٢ ص ٢٩٧ — المغني ج ١٠ ص ٢٦١

وأما إذا كان للاخراج من الحرز أهمية في بيان الأخذ التام ، فإن له أهمية كبرى في حالة تعدد الجناة لأن القاعدة في الشريعة أن عقوبة القطع على من أخرج الشيء من حرزه ، أما من لم يخرج به فعليه التعزير .

نظرية الهتك المتكامل : وإذا كان السارق واحداً فنقب الحرز كما لو كان منزلاً مثلاً وأدخل يده في النقب وأخذ المتاع ، أو مد قسبة أو محجناً فأخذه به ، فيرى أبو حنيفة أن الأخذ لم يتم لأن السارق لم يدخل الحرز ، وهتك الحرز هتكاً متكاملاً شرط لتكامل الجناية .

ولا يتصور تكامل الهتك فيما يمكن الدخول فيه إلا بالدخول فعلاً ، أما مثل الصندوق والغرارة فلا يمكن الدخول فيهما فالأخذ التام منهما باليد دون دخول يعتبر هتكاً متكاملاً .

وتسمى هذه النظرية في مذهب أبي حنيفة بنظرية الهتك المتكامل (١) .

ولكن فقهاء المذاهب الثلاثة ومعهم أبو يوسف من أصحاب أبي حنيفة والشيعة الزيدية يرون الأخذ تاماً سواء دخل السارق الحرز أو لم يدخله لأن ركن السرقة هو الأخذ من الحرز وليس دخول الحرز ؛ فكلاً يمكن الأخذ من الحرز دون دخوله فهو أخذ تام (٢) .

مركز تحقيقات جامعة بغداد

« يتبع »

(١) بدائيم الصنائع ج ٧ ص ٦٦

(٢) المهذب ج ٢ ص ٢٩٧ ، أسنى المطالب ج ٤ ص ١٤٧ ، المغني ج ١٠ ص ٢٥٩ ،

كشف القناع ج ٤ ص ٨١ ، شرح الزرقاني ج ٨ ص ٨٠ ، مواهب الجليل ج ٦ ص ٣١٠

شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٥ ، شرح الأزهاري ج ٤ ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

أيها المخلفون !

لا... الله لا الملك

(٢)

ثم تابع مولانا محمد علي مرافقته^(١) :

« لقد تعرض القاضى لمعتقدات بعض الطوائف فافترض فئة من الهندوك تعتقد بتقديم القرابين البشرية . وكذلك قال المدعى العام إننا منقسمون على أنفسنا طوائف وشيعاً يستحكم بينها النزاع وكل تدعى الحق لأهلها !

لا مجال هنا أيها السادة لتتبع الحق أو الفساد في العقائد ، ثم إن العقيدة التي نحيا بها ليست عقيدتنا وحدنا ؛ إنها عقيدة كل مسلم . . . وهبوها عقيدة طائفة معينة فهل تقصدون أن نداء الملكة سنة ١٨٥٨ (في حماية العقائد) قد اشترط أن يتفق ثلاثمائة مليون من البشر في الهند مع أهل الأرض والسموات ، وأهل الكواكب السيارة ، وسكان القمر وقاطنى المريخ ، كل أولئك لا بد أن يتفقوا على العقيدة الصحيحة حتى يقدم النداء حمايته ؟ ! إنه لا داعى للتفكير في حماية مثل هذه العقيدة !

ليست هذه القضية قضية اعتقاد فرد ما ، أو فكرة عدد محدود من المسلمين — وإن كان لا يسوغ لكم بحال المساس بالمشاعر الدينية لجماعة مهما قل عدداً أفرادها — إنها قضية هذا الدين الإسلامى ؛ فما من فرد يدعى أنه مسلم يستطيع تخطى حدود هذا الكتاب (مشيراً إلى القرآن الكريم) انظروا إلى هذه الترجمة الإنجليزية : هذا كتاب ملئ بالمعاني المكررة ، ولا يتجاوز ما بين دفتيه خمسمائة صفحة ، وهو مع ذلك يشكل المصدر الرئيسى لقانوننا الدينى ، وأود هنا أن أوضح ذلك حتى لا أذع مجالا لسوء الفهم ، فينبغى أن تعلموا من أين تستقى تعاليم الإسلام . إن أصل الدين كله تحويها دفتا هذا المجلد الدقيق ؛ ثم تأتى بعده في الدرجة الثانية أحاديث الرسول ؛ وبالنسبة لذلك المصدر الأصيل (مشيراً إلى القرآن الكريم) ليس هناك في المسلمين من يختلف حول صحة مقطع واحد فيه ؛ ولذا تجدون أن هناك أساساً صخرياً راسخاً لعقيدتنا لا أثر للخلاف بين وجهات النظر حياله . أما أحاديث النبي فإنه لو روى لنا حديث بسنده إلى الصحابة عن رسول الله فكان مخالفاً لأى أمر بما ورد في هذا الكتاب

(١) نقر القسم الأول من هذه المرافعة مع المقدمة في « المسلمون » العدد الأول . السنة الثانية . ص ٣٩

فليس هناك في المسلمين من يقبل ذلك الحديث . فإننا لا نقبل ما ينسب إلى الرسول إن كان مخالفاً للقرآن ، أما إذا كان مفسراً له أو مفصلاً لمجمله فعلينا عندئذ قبوله . . . إنكم عند تسجيل التطوعين تأخذون عليهم تعهداً كتابياً وتلزمونهم بقسم مخصوص ، وهاكم اللائحة . (مبدئياً اللائحة) . في هذه اللائحة تجدون هذا السؤال : « هل تتعهد بالذهاب حيثما تؤمر في البر والبحر ؟ . . . » وعلى كل جندي حين يتقدم متطوعاً للجندي أن يجيب بالإيجاب على هذه الأسئلة ويمضى اللائحة . فلنفرض أن الرجل هندوكي وأن الضابط أمره أن يذبح بقرة ليجهز له لحمها . إنه يرفض ذلك ولا ريب ، ويتلو له شواهد من كتابه المقدس ، وليس هناك فقرة من قانون العقوبات الذي بين أيديكم تمكن القاضي أو المحلفين ليقرروا أن هذا الرجل مذنب تنفذ عليه العقوبة لأنه يتصرف وفقاً لتعاليم دينه . قولوا بإمكان ذلك حتى أكف فأجلس ! . . . كلا أيها السادة ، عليكم أن تكتبوا على كل فقرة في الدستور الجزائي ، وعلى كل قانون ، تلك العبارة المحببة التي يستعملها الشرعون : « دون إجحاف » أي دون إجحاف بمعتقدات الرجل الدينية .

قد تقولون بأن هناك من العادات المستهجنة مالا يمكن السماح بها ، وهنا عليكم أن تبينوا أي العادات تبيحون ، وما هي الشروط التي يُنال تسامحكم حين توفرها . إنه حتى القتل لا يعد قتلًا إن كانت تعاليم الدين تأمر به ، وقد أعطى النداء حماية القانون لتلك الديانة ، وقد تقولون إن في هذه البلاد الكثير من الديانات والمذاهب ، إذن فعليكم أن توضحوا الشروط التي لا بد من توفرها في الديانة حتى تستحق الحماية ، فإذا أوفى بها المواطن يعتبر موالياً ، وكل من تسول له نفسه الخروج على هذا الولاء إما أن يُنفي من هذه البلاد ، أو أن يطردكم لينعم بالعيش فيها !

إن صاحبي (المدعى العام) كان أخبركم بأننا قوم في غاية الإخلاص ، وأننا صرحاء لانعرف المواربة . إنني أشكر له هذا الشراء ، وإنه إن كان أقر به الحاجة في نفسه فإنني سأحاول الاستفادة منه لبلوغ مأربي أيضاً .

أيها السادة ، إنكم ستعلمون الآن أننا لسنا القوم الذين يسهل إرهابهم ليعمدوا إلى الكذب حتى يتفادوا القصاص إن كنا نستحقه بموجب هذه البيّنات التي بين أيديكم ، وكلها تافه لا قيمة له ، وإنني إن أشغلكم بتوافه الأمور . ومحور القضية كلها : هل يعطى نداء الملكة الحرة للديانة الإسلامية أم يستثنى ؟ . فإذا كنا نطلب من الجندي المسلم أن يتخلى عن خدمته في الجيش البريطاني وأن يأبى التطوع ويطلب من الآخرين

أن يفعلوا ذلك ، ونعلن ذلك ونثبت من القرآن فإننا في تلك الحالة لا نكون مذبذبين ولا يمكننا معاقبتنا ؛ حيث لا يخالف ؛ انون العقوبات القرآن يسرى مفعوله ، فإن خالف القرآن فقانون العقوبات لغو فارغ .

إن القاعدة العامة تقتضى أن يحاكم الأشخاص فرادى ، وأن تبحث التهم واحدة واحدة كذلك ، وإلا فقد يثأثر القاضى والمحلفون فيحيلون بأحكامهم . إننى لأعلم سبباً لهذا الخلط في الاتهام إلا أن يكون ممثلو التاج قد اتفقوا على مؤامرة (ضحك) فحشدوا هذا العدد العديد من مواد القانون ليشتهب الأمر على الجميع ، ولا أدري إن كان منكم من فهمها بوضوح . أما من جهتي ، فلم أستطع أن أفهم على وجه التحديد ماذا كان الاتهام الأول وكذلك الثانى ، وما الذى هو من شأن القاضى وما الذى هو من اختصاصكم كمستشارين . كل ذلك لم يتضح لى حتى اليوم . وإننى لما أحضرت إلى هنا من والتير (waitair) سألنى واحد من الشرطة الذى كانوا يخفروننى في القطار الخاص عن التهمة التى أخذت بها فلم أدر به أدر به أرد عليه ، واسكننى أخبرته أن لائحة اتهامى تستند إلى المواد ١٢٠ و ١٣١ و ٢٠٥ و ١١٧ فعلق الشرطى ساخراً بقوله : «إنهم يحشدون من المواد ما يشاءون ، وهى على كل حال مواد من صنع محلى » (ضحك) .

لست أدري إن كان منكم أيها السادة من لعب البلياردو .. تستخدم في هذه اللعبة كرات ثلاث ، وترج بأن تضرب كرتك ضربة بحيث تصيب بها الآخرين ، أو تصيب إحداها ثم تسقط في إحدى الحفر المعدة في منضدة اللعب ، أو أن تدفع بهما إلى الحفر . وقد يتفق أن يكون وضع هذه الكرات (المنحوسة) على المنضدة بشكل تحار معه كيف تصنع حتى تنجح الضربة ؛ وهذه الحالة تحصل عادة بصورة مزعجة للمبتدئين على الخصوص . ونصيحة الخبراء حينئذ أن يقولوا : اضرب بقوة ودع النتيجة للحظ والمصادفة .. (ضحك) وليس بمستبعد أن يكون الكسب بذلك ؛ وهى في نظر خصمك رمية من غير رام ، وهى ضربة في غاية الصعوبة طبعاً في نظره (ضحك) .

ذلك أيها السادة في الواقع عين مافعلته النيابة بهذه الاتهامات . لقد ضربت بقوة ، وهى تعتمد عليكم وعلى القاضى في الكسب ، فقد تصيب من هذه المواد العديدة واحدة أو اثنتان ١١ (ضحك) .

لقد عرفت بالصراحة ، فإننا قوم جد صرحاء ، ولكم أن تتأكدوا أننا صادقون كذلك . وفيما يختص بأية قرارات كانت لتعلن بها القوات المسلحة المسلحة في الهند — حتى ما يختص منها بتعاليم الإسلام — فليس أمامكم من الاتهامات ما هو أكبر من

ذلك القرار . بيد أنه في الوقت الذي يدعى فيه المرء بأنه مسلم ، عليه أن يلتزم ويخضع لكل ما ينص عليه القرآن الكريم ؛ فإني إذا أعرضت عن آية واحدة منه ، فإنني حينئذ لا أكون مسلماً ، بل قد أكون شر الحاطئين ، وقد أبلغ الغاية في الإثم ، غير أنني مادمت لا أنكر شيئاً قط من هذا الكتاب فإنني لا أزال أعد من المسلمين ؛ ولكن من منذ اللحظة التي أعرض عنه مهما كنت تقياً ، لا أكون مسلماً . إن كل ما يحويه دفن القرآن يطالب المسلم بشرع القرآن نفسه أن يبلغه للناس كافة حتى غير المسلمين . خذوا مثلاً صديقي الجليل هنا مولانا حسين أحمد صاحب . إنه حوارى مولانا المرحوم محمد الحسن صاحب شيخ الهند ، وقد كان قبض عليه في الحجاز حيث أمضى من عمره عشر سنين يدرس أحاديث الرسول في المدينة ، فأخذ إلى مصر ثم إلى مالطه . فلو فرضنا أنه جلس خارج بيته وتلا من القرآن هذه الآية : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » (١) ولنفرض أنه أثناء تلاوته مر جندي مسلم ؛ فهل تقولون بأن مولانا حسين أحمد قد اقترف جريمة بمقتضى المادة (٥٠٥) من قانون العقوبات الهندي ؟ إذا كنتم تقولون بذلك فلم كل هذا الكلام عن التسامح ؟ وافرضوا أن جندياً من مسلمي الهند دخل المسجد حيث يؤم الصلاة مولانا ، فهل يكون مولانا مجرمًا إذا تلا تلك الآية في الصلاة بحضوره ؟

وهاكم قضية أخرى : جندي يأتى إليه فيقول : (أريد يا مولانا أن أعرف حكم الإسلام في هذا الأمر : إننى مطلوب للسفر إلى « ميسوپوتاميا » للقتال ضد الخلافة ، فهل يحل لى أن أذهب فأقاتل المسلمين ؟) فيجيب مولانا إن ذلك غير جائز ، لأنه إن أفنى بجوازه يصبح كافراً ، وإن أمسك ولم يتكلم تلحقه لعنة الله والعالمين (٢) . ولذلك يتحتم عليه أن يقول : « لا ، إن ذلك لا يجوز » فإن واجبه كعلم ديني عندما يأتيه من يستفتيه أن يوضح له بالصدق حكم الإسلام ، فإن لم يستطع خشية قانون العقوبات ، فإنها ههنا — والحق يقال — تنزل اللعنة .

خذوا مثلاً آخر : يسافر مولانا في قطار فيصادف جنوداً مسلمين ذاهبين إلى « ميسوپوتاميا » لقتال جنود الخلافة أو من أعلن الجهاد من المسلمين ، فيعظهم مولانا بأن ذلك محرم في الإسلام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا ترجعوا بعدي

(١) سورة النساء : ٩٣

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله وبلغهم اللاعنون » البقرة : ١٥٩

كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض» (١) فهل يحال بذلك بين مولانا وحماية القانون؟
 قد تقولون : لا بأس بأن يجيب بذلك عندما يسأل عن حكم الإسلام كواعظ ديني ،
 ولكن ليس من واجبه أن يعتلي سطح المنزل وينادي من فوقه بذلك ، فإن عمله
 حينئذ يكون تحريضاً وإغراء تنطبق عليه المادة (٥٠٥) والمادة (١١٧) ...
 وإنني أقول : إنه حتى في تلك الحالة تكون مؤاخذته من العسف الذي هو أبعد
 ما يكون عن التسامح ، لأن القرآن يبين بوضوح حال من ينال الفوز في الآخرة بمن
 يحق عليه العذاب الأليم ؛ واسمعوا هذه السورة القصيرة من القرآن حيث يقسم الله تعالى
 بالعصر فيقول : « والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

إن الشروط الأربعة التي تلزم المسلم حتى ينال الفوز والنجاة قد احتوتها هذه
 السورة ، وهي أقصر سورة في القرآن : إن خلاص الإنسان مشروط بأن يعمل بمقتضى
 عقيدة الإسلام . ثم هل تظنون أن من يعتنق الإسلام فيقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم
 رمضان ويحج البيت ولا يؤذى أحداً ، هل تظنون أنه بذلك يكون أهلاً للنجاة والفوز
 يوم الدين ؟ كلا ! لأن القرآن يقول إن الخطوة الثالثة (بعد الإيمان والعمل الصالح)
 أن تبلغ هذا الخير إلى كل إنسان ، وعليك أن تدعو لهذه العقائد ، فإنك لم تولد لتنجو
 بنفسك وإنما أوجدت هنا لتأخذ بيد من حولك ، ولذلك كان على المسلم القيام بهذه
 الواجبات الثلاثة : الإيمان بعقيدة الإسلام ، والعمل الصالح بمقتضى هذا الإيمان ،
 والدعوة إلى الإيمان بتلك العقيدة .

ولنفرض أن مسلماً يعتقد بأن قتل المسلم حرام فلا يقتل مسلماً ، ولكنه يترك
 غيره يفعل ذلك . مثل هذا المسلم قد لا ينال النجاة . وإن هو لم يتقاعس ، ونهض يذكر
 الناس بأن ذلك حرام فقد لا ينال النجاة كذلك حتى يثبت على دعوته ويصبر ولو باء
 بالقتل . فإذا أخفق في الدعوة وابتلى بها بأحكام المادة (٥٠٥) والمادة (١١٧) ونصبت
 أعواد المشائق فماذا يطلب منه ؟ عليه أن يتجملد ويصبر ! إنه قد يشنق وربما يغرق
 أو يصلب ، ولكن الواجب هنا أن يثبت على دعوته ؛ وبذلك ينال الفوز العظيم
 وينجو من الحشران المبين ، ولا يجوز له بحال من الأحوال أن يخالف من تنزيل الله
 حرفاً واحداً ، وعليه أن يلتزم به بكليته ، ويواجه به جميع الظروف .

« يتبع »

إزاهبت ريح الإيمان

(٢)

لسماحة الأستاذ السيد أبي الحسن الندوي

وكيل ندوة العلماء بالهند

رحماء بينهم

— ١ —

تخاصم خادم يقال له لاهوري وهو رجل متواضع المظهر ، يخدم خيل المجاهدين ويعلفها مع رجل اسمه عنايت الله له هيئة ومكانة عند السيد الإمام وهو من رفقته السابقين ، وأخذت الرجل حدة ، وركز لاهوري وكزة وقع منها على الأرض ، وصار يتقلب من الألم .

اتصل الخبر بالسيد الإمام واطلع على القضية فغضب عنايت الله خان وعذله عذلا شديدا ، وقال لعلك اجترأت على هذا لدايتك ومكانتك مني وحقارة الرجل وضعته ، فلا يفرنك هذا فأنت ولاهوري سواء عندي لأفضل لأحد على الآخر ، وقد جاء الناس جميعا واجتمعوا هنا للدين فقط .

وأحال أمرهما على قاضي العسكر وقال له لا يأخذتك فيهما جتف أو مداهنة واحكم بينهما بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصما .

كان الأمر جليا واضحا ، فكان للاهوري أن يقتصر من عنايت الله ويكره كما وكزه . فإن الجروح قصاص ، ولكن خاف الناس الشر وخوفوا أن تكون للقصاص عاقبة لا تحمد ، وعسى أن تأخذ عنايت الله الحدة فتثور عليه ويبطش به ثانية ويحدث فتنة الناس في غنى عنها .

اجتهد الناس أن يتنازل لاهوري عن حقه ، ويسامح غريمه حسبة لله تعالى وتغاديا من الشر ، وأراد القاضي أن يقنعه واجتهد الناس أن يفهموه فقالوا له إذا عفوت عن صاحبك وتنازلت عن حقه كان لك عند الله أجر عظيم ؛ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ، أما لو أخذت حقه كنت وصاحبك سواء ولم تستحق الأجر والشكر .

قال لاهورى فى بساطة ولو أخذت بحقى واقتصصت من صاحبه أكان على وزر ؟
قالوا لا ! بل كل من عند الله ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل .
قال لاهورى : إذن آخذ حقى وأقتص من صاحبه .

هنالك يثس الناس وقطعوا الرجاء وأوقف القاضى عنايت الله أمام لاهورى وقال
للاهورى دونك الرجل فاضربه كما ضربك واقتص منه .
قال لاهورى أحقى أن أضربه كما ضربنى وأقتص منه ؟

قال القاضى نعم .

واضطرب الناس وأيقنوا أن لاهورى ضاربه ومقتص منه .

قال لاهورى اشهدوا أيها الناس أن القاضى قد أعطانى حقى ومكنى من غريمى
وقد قضى ما عليه وهأنذا متمكن من خصيمى لا يمنعنى من القصاص أحد ولا يحول
بينى وبينه شئ ولا أخاف أحداً .

ولكن اشهدوا أيها الإخوان أنى عفوت عن أخى وتركت حقى حسبة لله تعالى
وابتغاء رضوانه .

تقدم لاهورى وعانق عنايت الله خان وضمه إلى صدره وصاحفه ، وهتف الناس
مرحى مرحى ، وحياءك الله يلاهورى وبياك فقد عملت عمل الرجال ، وصنعت
صنع الأبطال .

— ٢ —

نريد أن نوليك يا أستاذ توزيع الحبوب فى عسكر المسلمين !
هكذا خاطب السيد الإمام رجلاً نحيف الجثة قد أضناه المرض اسمه الشيخ
عبد الوهاب من لكةهنؤ .

قال الشيخ : أنا ياسيدى مصاب بأمراض كثيرة وأجمع القرآن فى هذه الحال ،
والعمل شاق عسير ذو خطر لا أستطيع أن أقوم بأعبائه فلو رأى السيد الإمام أن يسامح
العبد لفعل .

سكت السيد هنيهة ثم قال له تشجع يا أخى وتوكل على الله وشمر ذيلك لخدمة
الإخوان المسلمين ، وسأدعو الله تعالى وأرجو أن يشفيك ويرزقك صحة وقوة لجمع
القرآن فى خلال هذه الخدمة .

فرح الشيخ وصار يؤدى وظيفته بأمانة ونشاط ، ورضى الناس بأمانته ونشاطه
ونصحه للمسلمين وشفقته عليهم وأثنوا عليه خيراً ، وبرى الشيخ من علله وأسقامه
وقوى وسمن وجمع القرآن فى هذه المدة .

وقابلة السيد الإمام ذات يوم وقال له في فرح وسرور : ها يا أستاذ إن الله سبحانه وتعالى قد منَّ عليك بصحة وقوة ووفقك لجمع القرآن .

قال الأستاذ نعم يا سيدي إن الله تعالى قد أجاب دعاءك وأرجو أن تدعوا لي بأن يثبتني الله في صدرى فلا أنساه وأوفق أن أقرأ عليك مرة في التروايح .

قال السيد سأدعو إن شاء الله وأرجو من فضل الله سبحانه أن يثبتني في صدرك فلا تنساه ، وكان هذا أجرة لك من الله سبحانه على خدمتك للمسلمين وإخلاصك ونصحتك في هذا العمل الجليل .

وكان الشيخ عبد الوهاب يتلو القرآن ويوزع الجيوب والدقيق في وقت واحد ولا يزيد ولا ينقص في النصيب ولا يخطئ .

وبينما كان الشيخ يوزع الدقيق في يوم من الأيام إذ جاءه إمام على العظميا بادي وقد جاء في عسكر المجاهدين حديثاً وكان جسيماً قويا فتقدم وقال اعطني نصيبي ، قال الشيخ عبد الوهاب اصبر يا أخى قليلا حتى يأتي دورك ، وهذا دور غيرك ، ولم يتأخر الرجل وأخذ طيش الشباب فدفع الشيخ بقوة فسقط الشيخ على الأرض .

رفعه الناس من الأرض وغضب القندهاريون الذين كانوا هنالك وكادوا يسطون بإمام على ولكن حال الشيخ بينهم وبين إمام على وقال هو أخى وقد دفعنى فلماذا تضربونه أنتم .

إحدى يدي أصابتني ولم ترد

سكت الناس ونما الخبر إلى السيد الإمام فسأل الشيخ عبد الوهاب عن القصة فقال ياسيدي هو رجل صالح جاء يطلب نصيبي ، فقلت له انتظر حتى يأتي دورك وكان في عجل فاصطدم بي من غير قصد ووقع .

وسمع إمام على كلمة الشيخ عبد الوهاب فغجل ، وجاء إلى الشيخ عبد الوهاب واستسمحه وصافحه .

من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرج منه .

في الاسماعيلية

للإمام الشهيد حسن البنا

« في هدوء الإسماعيلية الجميل ، ومن
أبنائها المباركين البررة ، تكونت أول نواة
لتفكيلات الإخوان المسلمين وشعبهم »
حسن البنا

في الطريق إلى الاسماعيلية :

في يوم الاثنين الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ — ويوسفى أن لا أذكر التاريخ
الهجرى لهذا اليوم — اجتمع الأصدقاء ليودعوا صديقهم المسافر إلى الإسماعيلية ، ليتسلم
عمله الجديد الذى أسند إليه ، وهو التدريس بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية الأميرية .
ولم يكن هذا الصديق يعرف عن الإسماعيلية شيئاً كثيراً من قبل ، إلا أنها بلد ناء
بعيد في شرق الدلتا الأقصى ، يفصله عن القاهرة فضاء فسيح من رمال الصحراء
الشرقية ، وتقع على بحيرة التمساح المتصلة بقناة السويس ، وأخذ الصديق يستقبل
أصدقاءه ليودعهم ويودعوه ، وأخذ الأصدقاء يتجادبون أطراف الحديث ، وكان فيهم
محمد أفندى الشرنوبى ، وهو رجل ذو تقوى وصلاح ، فكان مما قال : « إن الرجل
الصالح يترك أثراً صالحاً في كل مكان ينزل فيه ، ونحن نأمل أن يترك صديقنا أثراً صالحاً
في هذه البلد الجديد عليه » وأخذت هذه الكلمات مكانها من نفس الصديق المسافر ،
وانقض الجمع ، واستقل المسافر قطار الضحى ، ليصل إلى الإسماعيلية ظهراً حيث يواجه
لأول مرة حياته العملية وجها لوجه .

وسار القطار والتقى المسافر زملاء له ، عينوا حديثاً في نفس المدرسة التى عين فيها ،
وكان منهم على ما يذكر : محمد بهى الدين سند أفندى ، وأحمد حافظ أفندى ، وعبد المجيد
عزت أفندى ، ومحمود عبد النبى أفندى .

التقى المسافر بزميل مدرس بمدرسة السويس الابتدائية ، ينتمى إلى الطريقة

الحامدية الشاذلية ، ويفضى إليه المسافر بآماله في الإصلاح الإسلامى والدعوة إلى الإسلام ، ثم يكتب عنه في مذكراته هذه العبارة : « هذه الفرصة القصيرة لا تكفى للحكم على نفسية الرجل وزوجه وإن بدا لي أنه إنسان يعيش ليحفظ حياته بعمله . . . يسعد بعقيدته في ربه ، ودينه وشيخه ، ويسر بما يرى حوله من مظاهر احترام الإخوان له » ، وإذن فقد كان هذا المسافر لا يفكر في أن يعيش ليحفظ حياته بعمله فقط ، وإذن فقد كانت عقيدة المسافر لا ترضى أن تكون قاصرة عليه وحده ، وإذن فقد كان همُّ هذا المسافر شيئاً آخر غير ما يرى من مظاهر احترام الإخوان له .

وصل القطار إلى محطة الإسماعيلية وتفرق المسافرون كل إلى وجهته ، وأشرف صاحبنا على هذا البلد الجميل ، الذي كان يبدو جماله كأروع ما يكون إذا نظر إليه المسافر من فوق قنطرة سكة الحديد ، واستهوت هذه المناظر قلب القادم الجديد ، وأخذت بلبه ، فوقف هنيهة ، وسبح لحظة في عالم من الخيال والمناجاة ، يحاول أن يقرأ في لوح الغيب ما كتب له في هذا البلد الطيب ، ويسأل الله تبارك وتعالى في حرارة وضغفء ومناجاة ، أن يقدر له ما فيه الخير ، وأن يمنحه ما فيه الشؤر والآثام ، فإنه يحس من أعماق قلبه ، أنه لا بد له في هذا البلد من شأن غير شأن هؤلاء الغادين الراضين من أهله وزائريه .

في الضرو :

ويصل المسافر إلى الفندق فيودع فيه حقييته ، وليس معه غيرها ، ويزور المدرسة التي سيعمل فيها ، ويلقى الناظر والمدرسين ، ويتناول الجميع أطراف الحديث ، ويتعرف هذا الصنف إلى صديق له قديم ، هو الأستاذ إبراهيم البهاوى أفندى المدرس القديم بالمدرسة ، ويرغب أن يرافقه حتى يسكنه ، فإذا بهذا الصديق يؤثر أن يسكن في « بنسيون » ولا يرحى صاحبنا الصنف بأساقى موافقه على ما يرى ، ويحتل الصديقان غرفة واحدة في نزل السيدة « أم جيمى » الإنجليزية ثم في نزل السيدة « مدام بينا » الإيطالية .

بين المسجر والمدرسة :

ويقضى هذا المدرس الجديد وقته بين المسجد والمدرسة والمنزل ، لا يحاول أن يختلط بأحد ولا أن يتعرف إلى غير بيئته الخاصة من زملائه في وقت العمد ، أما وقت فراغه فهو مكب فيه على رياضة ، أو دراسة لهذا الوطن الجديد ، من حيث أهله

ومناظره وخصائصه ، أو مطالعة أو تلاوة ، لا يزيد على ذلك شيئاً مدى أربعين يوماً كاملة ، ولم تزايله لحظة من اللحظات كلمة الصديق المودع :

« إن الرجل الصالح يترك أثراً صالحاً في كل مكان ينزل فيه ، وإنا نرجو أن يترك صديقنا أثراً صالحاً في هذا البلد الجديد عليه » .

خلاف ربي :

وفي المسجد استطاع هذا النزول الجديد ، أن يعرف كثيراً من أنباء الإسماعيلية الدينية ، وظروفها الاجتماعية ؛ وقد عرف فيما عرف ، أن هذا البلد الذي تغلب عليه النزعة الأوروبية إذ تحيط به المعسكرات البريطانية من غربيه ، وتكتنفه مستعمرة إدارة شركة قناة السويس من شرقيه ، وهو محصور بين ذلك ، ومعظم أهله يعملون في هاتين الناحيتين ، ويتصلون بالحياة الأوروبية من قريب ، وتطالعهم وجوه الحياة الأوروبية في كل مكان . . . هذا البلد ، مع هذا كله ، فيه شعور إسلامي قوى ، والتفاف حول العلماء وتقدير لما يقولون .

وقد عرف هذا النزول فيما عرف أن مدرساً إسلامياً سبقه في هذا البلد وطلع على أهله بنظرات في الفكرة الإسلامية ، بدت غريبة أمام معظمهم ، ونشط لمقاومتها بعض علمائهم ، فنتج عن ذلك انقسام بين الناس وتحيز لآراء وأفكار لا تجتمع عليها القلوب ، ولا تنبئ معها الوحدة المنشودة التي لا تتحقق بدونها غاية .

إلى القهاري مرة ثانية :

فأخذ يفكر فيما يصنع ، وكيف يواجه هذا الانقسام ، وهو يرى أن كل متكلم في الإسلام يواجهه بكل فريق بفكرته ، ويريد أن يضمه إلى جانبه ، أو أن يعلم على الأقل ، أنه من حزبه أو من أعاديه ، وهو يريد أن يخاطب الجميع ، وأن يتصل بالجميع ، وأن يتم شتات الجميع ؟ !

فكر طويلاً في ذلك ، ثم قرر أن يعتزل هذه الفرق كلها ، وأن يبتعد ما استطاع عن الحديث إلى الناس في المساجد ؛ فالمسجد وجمهور المسجد هم الذين مازالوا يتكرون موضوعات الخلاف ، ويشيرونها عند كل مناسبة ، وإذن فليترك هذا النزول المسجد وأهله ، وليفكر في سبيل أخرى يتصل بها بالناس ، ولم لا يتحدث إلى جمهور « القهوة » في « القهوة » ؟ !

ساورة هذه الفكرة حيناً ، ثم اختمرت في رأسه ، وبدأ ينفذها فعلاً ، واختار لذلك ثلاث « مقاهى » كبيرة ، تجمع ألوفا من الناس ، ورتب في كل منها درسين في الأسبوع ؛ وأخذ يزاول التدريس بانتظام في هذه الأماكن . وقد بدا هذا اللون من ألوان الوعظ والتدريس اللينى غريباً في نظر الناس أولاً ، ثم ما لبثوا أن ألفوه وأقبلوا عليه .

كان المدرس دقيقاً في أسلوبه الفريد الجديد ، فهو يتحرى الموضوع الذى يتحدث فيه جيداً بحيث لا يتعدى أن يكون وعظاً عاماً : تذكيراً بالله واليوم الآخر ، وترغيباً وترهيباً ، فلا يعرض لتجريح أو تعريض ، ولا يتناول المنكرات والآثام التى يعكف عليها هؤلاء الجالسون بلوم أو تعنيف ، ولكنه يقنع بأن يدع شيئاً من التأثير في هذه النفوس وكفى . وهو كذلك يتحرى الأسلوب فيجعله سهلاً جذاباً مشوقاً ، خليطاً بين العامة أحياناً ، ويمزجه بالمحسنات والأمثال والحكايات ، ويحاول أن يجعله خطابياً مؤثراً في كثير من الأحيان ، وهكذا يتحایل دائماً على جذب هذه النفوس ، باعثاً الرغبة والشوق إلى ما يقول ، وهو بعد هذا لا يطيل حق لا يُمل ، ولكنه لا يزيد في الدرس على عشر دقائق ، فإذا أطل فربع ساعة ، مع الحرص التام على أن يوفى في هذا الوقت معنى خاصاً يقصد إليه ، ويتركه وافيًا واضحاً في نفوس السامعين ، وهو حين يعرض فيما يعرض لآية أو حديث يتخير تحييراً مناسباً ، ثم يقرأ قراءة خاشعة ، ثم يتجنب التفاسير الاصطلاحية ، والتعليقات الفنية ، ويكتفى بالمعنى الإجمالى يوضحه ، والاستشهاد المقصود يشرحه .

كان لهذا المسلك أثره في الجمهور الإسماعيلي ، وأخذ الناس يتحدثون ويتساءلون ، وأقبلوا إلى هذه المقاهى ينتظرون ، وعمل هذا الوعظ عمله في نفوس المستمعين ، وبخاصة المواظبين منهم ؛ فأخذوا يفيقون ويفكرون ، ثم تدرجوا من ذلك إلى سؤاله عما يجب أن يفعلوا ليقوموا بحق الله عليهم وليؤدوا واجبهم نحو دينهم وأمتهم ، وليضمنوا النجاة من العذاب والفوز بالنعيم ، وابتدأ هو يحجبهم إجابات غير قاطعة جذبا لانتباههم واسترعاء ألبوبهم ، وانتظاراً للفرصة السانحة ، وتهيئة للنفوس الجائعة .

تعليم عملي :

وتوالى الأسئلة على المدرس من هذه القلوب المؤمنة الطيبة ، ولم يشف غلبها هذا الجواب المقتضب ، وألح نفر من الإخوان في وجوب رسم الطريق التى يجب أن يسلكوها ، ليكونوا مسلمين ينطبق عليهم بحق وصف الإسلام ، فهم يريدون أن يتعلموا

أحكام الإسلام بعد أن تحرك وجدانهم بشعور أهل الإسلام ، فيشير عليهم المدرس باختيار مكان خاص يجتمعون فيه بعد دروس المقهى أو قبلها ليتدارسوا هذه الأحكام ، ويقع اختيارهم على زاوية نائية في حافة إلى شيء من الترميم والتصليح للاجتماع وإقامة الشعائر .

يا الله . . . ما أطيب قلوب هذا الشعب ، وما أعظم مبادرته إلى الخير ، متى وجد الداعية المخلص البريء : لقد أسرع هؤلاء الإخوان ، وفيهم أهل المهن المعمارية المختلفة إلى الزاوية يرمونها ، ويستكملون أدواتها ، ويهيئونها لما يريدون ، وفي ليلتين اثنتين استطاعوا أداء المهمة على أكمل وجوهها ، وانعقد بالزاوية أول اجتماع .

كان المجتمعون حديثي عهد بالتعب ، أو ببساطة أدق كان معظمهم كذلك ، فسلك بهم المدرس مسلكاً عملياً بحثاً : إنه لم يعمد إلى العبارات يلقيها ، أو الأحكام المجردة يرددها ولكن أخذهم إلى « الحنفيات » توطأ ، وصفهم صفاً ووقف فيهم موقف المرشد إلى الأعمال عملاً عملاً ، حتى أتموا وضوءهم ، ثم دعا غيرهم ، ثم غيرهم ، وهكذا أصبح الجميع يتقنون الوضوء عملاً ، ثم أفاض معهم في فضائل الوضوء الروحية والبدنية والدينية ، وشوقهم بما ورد في مثوبته من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطايا من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » وقوله صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويصلي ركعتين ، يقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة » .. يشير بذلك شوقهم ، ويرغبهم فيما نديهم الله له .

ثم ينتقل بهم بعد ذلك إلى الصلاة شارحاً أعمالها ، مطالباً إياهم بأدائها عملياً أمامه ، ذاكرًا ما ورد في فضلها ، مخوفاً من تركها ، وهو في أثناء ذلك كله يستظهر معهم الفاتحة واحداً واحداً ، ويصحح لهم ما يحفظون من قصار السور ، سورة سورة ، مقتصرًا في حديثه إياهم على الكيفيات المشربة بالترغيب والترهيب ، لا يحاول أن يفرع للسائل ، أو يلجأ إلى المصطلحات الغامضة ، حتى رقت لأحكام قلوبهم ووضحت في أذهانهم ، ولم تعد هذه الناحية الفقهية البهتة تبدو خشنة جافة .

« يتبع »

ناروتينا

• المسلمون ، في تاجال

• قتال

• تصحيح

• وحدة المسلمين

• إبراهيم بن آدم

في جلسة مجلّة بمنزلة الرجل الفاضل الأستاذ السيد علي سونكر بجاكارتا ، تعرفت بالسيد محمد بن أحمد القانص ، من بلدة تاجال باندونيسيا : وهي مدينة صغيرة بينها وبين جاكارتا ثلاثمائة وخمسون ميلا ، ولما عرف اسمي قال : أهلا « بالمسلمون » . . . سبحان الله ! إن مجلتك يا أخى تفعل في نفوسنا فعل السحر ، وتبعث فينا حياة لم نخس مثلها في مجلة بعد مجلة العروة الوثقى . فسألته عن غدد قراء « المسلمون » في تاجال . فقال : إنها تأتي بانتظام إلى عمرة أشخاص ، وليكن قراءها أكثر من ذلك بكثير .

هكذا يستقبل المسلمون مجلتهم في النواحي القاحية من أقطار الإسلام والحمد لله رب العالمين ، وهي منذ مولدها لم تكن مجلة شخص ، ولكنها مجلة فكرة هادية ؛ ولذلك فتح الله لها القلوب .

وفي رسالة من حلب الشهباء « سوريا » يقول أخونا العزيز فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبي غدة : « . . . أكتب إليكم في كلمة وقعت مشكولة شكلا خاطئا في

« للمسلمون » وأحسبني مشاركا في الكتابة إليكم بها ، أو مسبوqa ، ولكنها الغيرة على القرآن ، والتواصي بالحق الذي تعاهدنا عليه لقاء وافتراق .

جاء في العدد العاشر من « المسلمون » بصحيفة ٦٧٢ ، في مقال فضيلة الأستاذ المرشد رضوان الله عليه ورحمته آية « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . . . » من سورة البقرة الآية ٢١٧ ، وشكل فيها لفظ قتال بضمين متعاقبين ، وهذا الشكل خطأ ، والصواب في الشكل لهذا اللفظ الكريم « قتال » بالجر كما هي التلاوة ، وقد يسبق للهن العارفين العالمين بصحة التلاوة أن هذا الشكل صحيح من حيث ثبوته قراعة من القراءات المنقولة ، ودعت إليه سياقة المعنى المستشهد عليه . ولكن عند التأمل يبدو أن المعنى المستشهد عليه لا يتوقف على رفع « قتال » قطعا ، فما هو إلا الخطأ المطبعي فحسب ، فلهذا أثيرت إلى هذا التصحيح ، ورجعت قبل الكتابة إلى التفسير وكتب القراءات ، فرأيت بعض القراءات الشاذة جاء فيها « قتال فيه » بالرفع وهي قراءة الأعرج كما في تفسير القرطبي (٤٤/٣) . وأجزم أن الإمام الشهيد رضوان الله عليه لم يقصد إليها أبداً ، فإنه لا موجب لذلك كما أسلفت . فأرجو تصحيح هذا الخطأ في عديد مقبل بالإشارة إليه ، مع التحرز عن وقوع مثله في آيات الله تبارك وتعالى ، والله ولي التوفيق والتسديد والسلام عليكم ورحمة .

ونحن نشكر للأخ الفاضل غيرته على كتاب الله تعالى ، ووصاته الكريمة ، ونسأل الله أن يحبنا الزال ، وننتهز الفرصة لنعذر عن الأخطاء المطبعية التي نجتهد لتلافها والله المستعان .

وفي رسالة من فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد ناصف وأخطأ طبعها يقول :

« . . . لفت نظري وقوع سهو يسير في قصيدة « صنع يد الله » المنشورة في

العدد الأول من السنة الثانية ، بعضه من الطبع وبعضه — فما أظن — من الشاعر وجاء العدد الثاني حالية من الإغارة إليه ، وإليك ياتيه :

١ — ينبغي أن تقصر كلمة « الفضاء » أول الشطر الثاني من البيت الأول لأن القصيدة من الخفيف . . . ليستقيم وزنها فتقرأ « الفضا » .

٢ — كلمة (بسمي) في أول البيت العاشر يجب تخفيفها « يُسمى » للوزن أيضا .

- ٣ — « تصنع » في الشطر الثاني من البيت الثاني عشر منصوبة فتستبدل بالضمة فتحة
- ٤ — آخر بيت في الصفحة التالية غير مستقيم وزن شطره الأول ويمكن ليستقيم أن يصاغ هكذا « وإذا جبريل يرى مثلما تبدو الخ » .
- ٥ — البيت الثامن في صفحة ٩٥ لا يستقيم شطره الأول إلا بتغيير كلمة « فارتاع » بكلمة من معناها فنقول مثله « غطه جبريل فأوجس لما الخ » .
- ٦ — كلمة جبريل في أول الشطر الثاني من البيت الثاني عشر من نفس الصفحة يجب قراءتها « جبرئيل » وهي لغة في اسم ملك الوحي عليه السلام وكلمة « اقرأ » في أول البيت نفسه يجب أن تقطع همزتها الأولى ليصح الوزن .
- ٧ — في آخر بيت كلمة « واستلم » ، وهي خطأ في مثل هذا الموضع لأن الاستلام هو المحس فلو قال : « وتسلم ركب الخليفة الخ » لصح الوزن والمعنى جميعاً .
- والسلام عليكم ورحمة الله

ونحن نشكر لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد ناصف دقة ملاحظته واهتمامه ، وهو محق في ١ ، ٢ ، ٣ أما (٤) ، (٥) فشأنها شأن (٦) في قراءة « جبرئيل » وبهذا يصح الوزن ، وهو كذلك محق في قطع الهمزة في كلمة « اقرأ » — أما (٧) فقد رجعنا فيها إلى الأستاذ القاضي محمد محمود الزيرى فأجازها وطرب لها .

وفي رسالة مليئة من الأستاذ الفاضل توفيق فكره الحيفي من الحكام السابقين من دير الزور قاعدة محافظة الفرات بسوريا ، يتحدث حضرته عن وحدة المسلمين في عقيدتهم ورسالتهم وآلامهم وآمالهم ، ورد على الدين يزعمون أن المسلمين لا يزلون نياماً لا يعون شيئاً مما حولهم ، وقال أن اليقظة بدأت ، وأن المستقبل مشرق وأهاب بالمسلمين إلى توحيد شملهم وتنظيم صفوفهم والثبات على الحق حتى يأتي نصر الله .

شكر الله للأخ الفاضل عاطفته وبارك همته وجمع شمل المسلمين على الخير .

ويقول السيد أبو عز الدين نجيب من جبلة (سوريا) .

«تحية من عند الله مباركة طيبة وبعد : فقد قرأت في العدد العاشر من «المسلمون» نبذة عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله : أنه ترك الملك والولد وانقطع إلى الله تعالى . . الخ» وقد جئت بهذه المناسبة مستفسراً عن الحقيقة التالية :

إن إبراهيم بن أدهم له مقام في مدينة جبلة على الساحل الغربي من سورية ويزوره الناس ويروى أنه دفن هنا ويستشهد صاحب هذا الرأي بروايات لذلك ، وأخيراً ومنذ آن غير بعيد حاضرت بعض الأدباء عنه وذكر أنه لم يمض في جبلة ، وأنه لم يأت الشام ولكنه بقي في بلاد الحجاز ومنها انتقل إلى الرفيق الأعلى . ولما كانت الحقيقة قد أشكلت نرجو إعلامنا عن ذلك والله يحفظكم . .

* * *

الحقيقة يعلمها الله وحده ، وليس من السهل الوصول إليها ، وهناك مقام في القدس يقال له الأدهمية بباب الساهرة ويزعم كثيرون أنه مدفون فيه : وأياً كان مكان قبره الصحيح فإنه رحمه الله قد مضى إلى ربه وبقيت العبرة من سيرته ، فلنوجه جهدنا إلى البحث عن هذه العبرة والاستفادة منها ، فذلك أبر به رضى الله عنه ، وأجزل في مشيئة الله له ، وأسلم في سلوك الطريق المستقيم إلى الله الذي كان يدعو إليه .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : —

«رحم الله امرأ أعان أخاه بنفسه وأشركه في دعائه»

سُـرُـةُ الْفَائِدَةِ وَالرَّابِ

لِلأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ أَبُو السَّمُودِ

مُسْتَشَارِ بَنْكِ الدَّوْلَةِ بِالْبَاكِسْتَانِ

(٣)

٥ — اِقْتِصَادٌ مِنْ غَيْرِ رِبَا :

ليست مشكلة إيجاد اقتصاد لا فائدة فيه مستحيلة كما يزعم الكثير ، ولكنها مشكلة معقدة عويصة على أنها صعبة في وجوب تغيير طريقة استثمار رأس المال . فنحن نؤمن بأن انعدام الفائدة لن يعنى انعدام تكوين رأس المال ، وهذا التغيير ستصعبه ثورة في وسائل الاحتفاظ بالتقدي وفي مسائل المال إذ المعلوم أن النظام النقدي الراهن يقوم على المصارف ، وهو نظام تطور مع الزمن واتخذ شكله الحاضر وليس من السهل قطعا أن نبذله في لحظة واحدة مهما التبحرنا إلى أساليب الإصلاح الثورية ؛ إذن فلا بد من التدرج والصبر واعتبار الزمن ذاته جزءا من العلاج .

وقبل أن نذكر اقتراحاتنا العملية للوصول إلى هذه الغاية نكرر أنه ما لم توجد الدولة الإسلامية وتطبق الشريعة في مختلف نواحي الحياة فسيكون من الصعب — إن لم يكن من المستحيل — تطبيق الأحكام الاقتصادية ، فذلك مخالف للمنطق الصحيح ناب عن روح التشريع « أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » لا بد أن يشعر المواطن بحقوقه وواجباته . حينئذ ستتضاءل هذه الصعوبات المادية التي تبدو عقبة جبارة عند المصلحين الاقتصاديين . والسرفي ذلك راجع إلى فلسفة الإسلام ذاته وإلى اختلاف المثل الأعلى في الشريعة الخفيفة عنه في الحضارة الأوروبية المادية : المادة لديهم غاية ولدينا وسيلة ، والوطنية إيمان ولدينا خطيئة ، والقيم الفردية تقاس بالمادة وعندنا تقاس بالتقوى ، بل الاقتصاد علميا ينبني على الأثرة والحياة لدينا تنبني على الإيثار . وبعد كل هذا أو قبل كل هذا هناك فصل بين الدين والدينه وهنا لا دنيا بلا دين .

إن استطعنا أن نطبق أحكام الشريعة في نواحي الحياة المختلفة فنسزيل من أمامنا صعوبات حمة وستحذف أسئلة برمتها من تلقاء ذاتها . ستكون القروض الاستهلاكية ليست ذات بال إذ سيجد الفرد مأكله وملبسه ومسكنه وعلاجه وعلمه وعمله ، سيجد كل ذلك مؤمنا من قبل الدولة ، وفي الدولة الإسلامية سيطبق مبدأ « في المال حق غير الزكاة » وستجد الدولة دائما وسيلة غير الاقتراض لتنفيذ مشروعاتها الإصلاحية .

وفي الدولة الإسلامية لن تكون وظيفة البنوك الرئيسية كما هي الآن : الإقراض بفائدة وخلق الائتمان ، بل ستكون أقرب ماتكون إلى ما تصوره الأستاذ هارود : تقديم الخدمات للمنتجين نظير أجر معلوم .

وفي النظام الإسلامي الصحيح لن يقبر مشروع إنتاجي لقلة رأس المال بيد المنتج إذ سيكون الإنتاج تحت إشراف الدولة ؛ فما كان غير ضروري منه حذف ، وما كان ضروريا وجد ما يحتاجه من عون مادي وفي .

وفي الدولة الإسلامية لن يكون هناك خطر على المقرضين لأن الدولة مسئولة عن دفع دين المدين إذا أعسر وكان حسن النية .

وأخيراً فإن الاستثمار والادخار في الدولة الإسلامية سيكونان متأثرين بعوامل معنوية لا شبيه لها في الدول المادية الغربية إذ المسلم الغني لن يسمح له بالتنعم الزرفي والظهور بمظهر « أغنياء الحرب » ولن يجد من فضله ماله ما يفضل على غيره من البشر . حينئذ لن يجد أفضل من ادخار واستثمار في إنتاج جديد يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير لأن ذلك مقياس التميز ومعنى التقى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

بعد هذا نجمل الخطوات التي يجب أن نبدأ بها حتى نصل إلى اقتصاد إسلامي .

أولاً : رسم نهج اقتصادي ينحصر بمقتضاء ما يجب أن يكون عليه الإنتاج في الدولة ، بعدئذ تنشأ مؤسسة مالية ضخمة على غرار ما حدث في إنجلترا والولايات المتحدة وباكستان لتمول كل المشروعات الإنتاجية التي يرى ضرورة إنشائها أو تشجيعها ، ويكون التمويل عن طريق شراء أسهم تطرح دائماً للجمهور بقيمتها الاسمية . وظاهر أن الدولة ستتعهد بتغطية الأسهم المطروحة التي لم يتم اكتتاب الأفراد فيها .

ثانياً : وواضح أن مثل هذه المشروعات ستكون كبيرة الحجم . أما في الصناعات الإنتاجية الصغيرة فغير سبيل هو إنشاء الجمعيات التعاونية على أن تمد الحكومة البنوك التعاونية بالمال اللازم دون فائدة على غرار ما هو حادث في « نيوسوث ويلز » في جنوب استراليا حيث تقوم هذه الجمعيات بتمويل كثير من الصناعات الصغيرة وصغار المزارعين دون

فائدة ، وحيث تزاول الجمعيات تسويق المنتجات نظير نصيب في الربح ، ولا شك أن هذه الجمعيات يمكن أن تعمل بنشاط ونجاح في الأوساط الزراعية والصناعية على السواء ، ونحن نعترف بأنها تحتاج إلى ثقافة وتعليم ، ولكن هذا ليس اعتراضاً جدياً إذ المفروض أننا سنطبق هذا النظام في مجتمع إسلامي أول كلماته : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ثالثاً : تقوم الدولة بتسويق المحصولات الرئيسية ، وليس هذا بدعاً فقد صار

الاتجار الحكومي State Trading من المسائل المقررة في الاقتصاد الحديث . وأهمية ذلك ترجع إلى أن أكثر الائتمان إنمياً يحتاج إليه في تمويل التجارة وتبادل السلع فإن كانت التجارة الرئيسية بيد الدولة — والدولة دائماً تخلق الائتمان — استطعنا أن نمحو سعر الفائدة من التجارات ، ولا مشاحة في أن الاتجاه الحديث يميل إلى أن يكون توزيع الضروريات من الأمور المعاشية من اختصاصات الحكومات حتى تيسر للناس أسباب العيش وتجنبهم احتكار المحتكرين والمتجربين .

ونحب أن نقرر هنا أن بعض البلاد المتقدمة استطاعت أن تنشئ من الجمعيات التعاونية شبكة واسعة تغطي أطراف البلاد ، وتعد الناس بحاجاتهم اليومية دون وسيط ولا ربح مغالى فيه ، وهذه الجمعيات لو مؤنسات من الحكومات نظير حصة في الأرباح لقضينا على القرض التجارى بفائدة قضاء مبرماً ، وتسمى هذه الجمعيات Multi-purpose Cooperative Societies وهى موجودة في أكثر بلاد العالم ويزداد نشاطها يوماً بعد يوم .

وقد شاهدنا بعض عملها في مصر إبان الحرب الماضية وما زالت تقوم بدور ملحوظ حتى اليوم ، ويمكن تشجيعها وإعادة تنظيمها على نطاق واسع واستخدامها في تسويق ما تتولاه الحكومة من محاصيل أو ما تستورده البلاد من الخارج .

رابعاً : إعادة تنظيم المصارف التجارية Commercial Banks وربطها بالمستوردين والمصدرين ، وذلك حتى تدمج بالائتمان اللازم في الحدود المرسومة . بيان ذلك أنه لو استطعنا أن نحدد وارداتنا (والواردات هى البند الذى يحتاج إلى الائتمان أكثر من غيره نظراً لارتباطه بالموارد الخارجى ولطول المدة بين طلب السلعة واستلامها) وهذا التحديد صار أمراً يسيراً نتيجة لما يتبع الآن في العالم بأسره من نظام التراخيص Licences : لو حددنا المستورد فيمكن بسهولة إنشاء اتحادات تجارية تضم الحاصلين على رخص الاستيراد وهذا الاتحاد يتصل بالمصرف التجارى المخصص لهذه العمليات كما احتاج المستورد إلى ائتمان ، وتفتح البنوك الاعتمادات اللازمة إما عن طريق المشاركة كأن تأخذ حصة ثابتة من المستورد لحسابها وتبيعها للاتحاد ، وإما نظير تحميل للمستورد مصروفات فتح

الاعتماد — مع مراعاة نسبة الربح — وإما أن يكون الاعتماد ائتمانياً تقدمه الحكومة إلى الاتحاد عن طريق المصرف كخدمة تؤديها الدولة لرعاياها . ولا شك أن في الحالات الثلاث أن يحدث سوء تصرف أو إفراط في طلب الائتمان ؛ إذ أن نسبة الائتمان إما أن تحددها الدولة (في بعض البلاد تصل النسبة إلى ٧٥ ٪ في أحوال خاصة وتهبط إلى حوالي ٢٠ ٪ في المتوسط في الأحوال العادية) أو تترك للمصرف يحددها ويكون الاتحاد التجاري ضميناً له ، ولا خوف من عدم وفاء التاجر نظراً لأن السلعة المستوردة تكون دائماً سند الائتمان .

أما فيما يختص بالقروض الائتمانية لتمويل التجارة الداخلية والمحاصيل الموسمية فتلك يجب أن تتم عن طريق الجمعيات التعاونية إذا لم يكن المحصول داخلاً في نطاق الاتجار الحكومي ، وحينئذ ينتفي القرض بفائدة في الحالتين .

خامساً : يمكن التوسع في مؤسسة القرض الحسن الذي أنشأته الحكومة في الماضي ، وذلك لمقابلة بعض الحاجات الاستهلاكية الطارئة على الفرد . والحقيقة أن هذه القروض الاستهلاكية لن تكون على مدى واسع ، ومع اعترافنا بأنه سيكون من العسير إلغاء القروض الربوية التي تعقد لهذا الغرض ، إلا أن مدى هذه القروض سيكون محدوداً بمقدار ما تطبقه الدولة من القوانين الإسلامية ، أو بعبارة أخرى بمقدار إسلامية الأفراد وتمسكهم بدينهم . من أجل هذا يجب أن نهمل هذا الموضوع حتى تستكمل الأفراد عناصر الحياة الإسلامية ، وحتى تقوم الدولة بواجباتها العامة قبل رعاياها حسبما قرضه الدين الحنيف .

٦ — خاتمة :

هذه آراء نظرية وعملية وقد طبق الكثير منها في بعض البلاد الأوربية والإسلامية ، ولسنا نزعم بأننا قد أحطنا بالموضوع من كل نواحيه ، ولكنها آراء واتتنا ، وتجارب مرت علينا ، وعله من المفيد أن يدرس ما تقوم به بعض الدول الإسلامية الأخرى كالباكستان وسوريا ، وما تمخضت عنه عقول مفكرى الغرب الاقتصاديين .

ويعيننا أنه إن ابتغيينا وجه الله في هذا العمل فلن يتخلى عنا ، وسهيدنا من أمرنا رشداً مرفقاً .

نريد لإيران نهضة ربّانية سافرة

« طلب إلينا بعض حضرات القراء أن ننشر الرسالة التي بعث بها رئيس تحرير «المسلمون» إلى سماحة السيد آية الله الكاشاني حين زيارته لاهوران في العام الماضي ، وتلبية لهذه الرغبة ننشر هذه الرسالة فيما يلي ، « التحرير »

أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين . وبعد :

قد أسعدني الله بلقاءكم ، وغمرتموني بعطفكم وفضلكم جزاكم الله كل خير ، وجمع بكم الشمل . . . وقد وجدتني — وأنا على أهبة السفر — مدفوعاً إلى الكتابة لباحثكم لأودى حق الله ، وأذهب مطمئن القلب .

سيدى الكريم الجليل . . .

لقد خطوتم خطوة مباركة عظيمة في بعث الشعب الإيراني الكريم ، وتهيته للذود عن حقوقه ، وكتب الله لكم في ذلك توفيقاً نحمده عليه حمداً كثيراً ، ونسأله أن يطيل في عمركم ويؤيدكم بروح منه ، وغلت من حماحتكم أنتم متجهون إلى خطوة سياسية ثانية في سبيل الاتحاد الإسلامي عام ، أو إلى أوسع من ذلك كما ذكرتم : أي إلى كتلة شرقية تواجه الاستعمار قوية بوحدةها . . . كل ذلك ياسيدى الجليل عظيم ، وهو عمل كبير ، وجهاد ميمون ندعو الله أن يجعل على يدكم في تحقيقه الخير الكثير ؛ وإنما الذي استأذنكم قبل سفرى في عرضه هو أن المسلمين اليوم يعانون بعداً صريحاً عن الإسلام ، الإسلام كما أراد الله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهم على هذه الحال ينادون إلى مجد الإسلام من مكان بعيد ، ونحن نواجه ياسيدى دنيا مليئة بالشيزيين للناس فيها سوء أعمالهم ، وأهال للشيطان التراب على أعينهم وقلوبهم ؛ فهاموا على وجوههم وأصبح أمرهم فرطاً ، وانطلقوا مع أهوائهم الشني كالسائمة على غير هدى « كأنهم حمر مستنقرة فرت من قسورة » وأصبح نشاط البشر في القرن العشرين أعاصير تدور بالناس كحمار الرحى ، والأمر لا يختلف عن ذلك كثيراً فيما يسمونه بحركات التحرير من الاستعمار والاستغلال ؛ إذ الظالم والمظلوم في هذه الحركات بائسان .. الظالم يعبد نفسه أو شهوته ، والمظلوم يعبد وطنه أو بطنه ؛ ولا هالم يعد حدود حيوانيته ، ولم يتجاوز الأرض ومتاعها ، ولم تتصل مشاعره بربه الذي سخر له الأرض والسماء « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا

وهم عن الآخرة هم غافلون» ... لا يمكن أن ينكر أحد على هذه الحركات حق العاملين لها ، ولا فضلهم في الرخيص والغالي مما يبذلون من أجلها ، ولكن القلب المؤمن لا يجد في ميزان الله فارقا بين كفاح هؤلاء — وإن اختلفت أساليبه وألوانه — وبين الحيوان يدفع عن نفسه الاعتداء بمخالبه وأنيابه ... كلاهما يدافع عن نفسه ، وكلاهما يدفع اعتداء وظلما ... وإنما تقوم إنسانية الإنسان بما سن الله لها ، وبسبيل آخر رسمه للناس ودعاهم إليه ، ولم يميز بينهم إلا به ، فمن استبدل به هوى أو شهوة فقد ضل « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ، أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كاللذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ، وخلق الله السموات والأرض بالحق وتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ، أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم يؤختم على ممعه وقلبه وجعل على بصره غشوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » .

لذلك هم المسلمون في بعدهم الصريح عن الإسلام ، وهذا هو أمر الناس في الشرق والغرب ، ونحن لا نريد أن تكون نهضة المسلمين فقاعة من هذه الفقائيع ، بل كننا نريدها مباركة ثابتة الجذور ، وربانية فيها جلال الحق ودعوة أمر الله ، وسافرة تؤذن في الناس بالأذان الذي لا ينشر السلام في الأرض خيرا ، ولا ينير أرجاءها سواها « الدار كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، الله الذي له ما في السموات وما في الأرض » .

وطريق هذه النهضة إعداد وتربية « ولكن كونوا ربانيين » واهتمام بالأساس والجواهر قبل زينة البناء وخلابة المظهر « لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتظاهروا والله يحب المتطهرين » حتى يتحيا جيل يتصل فيه خلق الإسلام ، ويحرس النهضة حتى تظل دائما لله ، ويعلم الله منه صدق النية فيعهد إليه بالأمانة ويسلمه الزمام « فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً » . « ولقد علمنا من السيرة النبوية الكريمة — رزقنا الله حسن فهمها والافتداء بها — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ليلة بدر من حجة يقرع بها باب ربه ويستنزل بها نصره إلا دعاؤه الحار « اللهم إن تهلك هذه العصابة فقلن تعبد في الأرض » .

إن النهضة على هذه الصورة قد تبدو أمراً صعباً ، ولكننا وحدها السبيل إذا كان مقصد الكفاح « حق لا يكون ثمة ريكوزيين كنه كلهم » وابتداء لا يسلم إلا إذا

كان مشدوداً إلى أساس ثابت ، وموصولة لبناته لبنة لبنة ، والصعب الذي يعاينه المكافون في هذا الطريق هو الدليل الذي أقامه الله عليه ، وهو سنة الله في إعداد أهل الخير للخير « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وواضح في هذه الآية الكريمة أن إعلان الإيمان كان باب الفتنة ومصدر البلاء ، وأن ثبات المؤمنين في هذه السبيل وصبرهم عليها هو البرهان الذي أراد الله للإيمان ... ثم إن المسلمين — ياسيدي الجليل — بالرغم من كل ما يعانون لا يزالون ينطوون على خير كثير يلهمه من يتصل بهم على اختلاف ديارهم ، ولا يزالون مستعدين لاستقبال كلمة الخير يلقيها إليهم قلب صادق وداعية مخلص ، ولا تزال أعينهم تفيض بالدمع كما ذكرهم بالله مذكروا ؛ بل لا يزالون يسارعون إلى البذل والتضحية حين تتوفر لهم القيادة المؤمنة الحازمة التي تسبقهم إلى الفداء ، وقد رأينا الروائع من أمثلة ذلك في التاريخ حتى في فترات الجزر الإسلامي في كل نواحي دار الإسلام ؛ وما عهد صلاح الدين ببعيد . وهزيمة فلسطين المرة لم تخل من بطولات فذة شهد بها العدو قبل الصديق للحفنة من المتطوعين المؤمنين الذين كانوا يتنافسون على الموت كما كان يتنافس من ادعوا عليهم حق الزعامة والولاية على الحسيس من الشهوات ، وتاريخ أندونيسيا والباكستان وشمال إفريقيا مليء بالدهشات من أخبار الحركة الإسلامية التي لم تفلح مؤامرات الدنيا في إطفاء جذوتها ، ولأمر ما جاء تركيب الآية العجيب « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » وإنما كانت هذه الأقباس في تاريخنا المرير نفحات متصلة لروح الإسلام الذي ظل دائماً أقوى من أعدائه ، وإنما كان صرعاها وشهداؤها المؤمنين العابدين ، وهتافها في الجبال والوديان في الشرق والغرب « الله أكبر » .

ثم هؤلاء مسلمو إيران جمعهم عليكم وألف بين قلوبهم تحت لوائكم ثقتهم في دينكم الذي عرفوكم به طاهراً نقياً خمسين عاماً طوالاً ، وما بذلت من تضحيات ارتبطت في أنفسهم بمشاعر الإسلام التي جعلتهم يرمقون فيكم دائماً آية الله وحسن الأسوة ، ثم جاء مشروع التأميم بعد ذلك — لا قبله — فاستفاد منه كله ، وكانت عاطفة الإسلام روح الحركة وبركتها .

فلماذا لا تنظم حملة واسعة تستخرج هذا الحب الدفين في قلوب المسلمين ؟ وما الذي يحول بيننا وبينها والقرآن لا يزال غصاً مشرقاً في أيدينا ؟ وما الذي نصلح له إذا لم نصلح لمخاطبة هذه القلوب بالحق الذي وصلتها به يد الله وموارث القرون ؟ .

ولا يتعارض مع ذلك — يا سيدي — أن نستعين بالدول الشرقية التي عانت الاستعمار وقاست منه حتى تتضح عندنا الغاية ، ويتوفر لنا الجهاز الذي يسد وجهتنا إليها .

هذه — يا سيدي الوالد الجليل — خواطر تتردد في الصدر كتبها كما هي ، وقد أقامكم الله مقاماً عزيزاً ، ومكن لكم في القلوب ؛ وهي لعمري أمانة غالية ثقيلة . وتوجيه منكم يمكن أن يسوق هذه الأمة إلى الخير سواها ، فاحملوا الأمانة مؤيدين « والله معكم ولن يتركم أعمالكم » ، « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

سعيد



للعلم لا لامتحان !

« ... وحصلت على الدبلوم في يونية سنة ١٩٢٧ . ولا أنسى الامتحان الشفهي وقد تقدمت فيه إلى اللجنة — وكانت مؤلفة من الأستاذ أبو الفتح الفقي رحمه الله ، والأستاذ نجاشي — بمجموعة عن المحفوظات بلغت ثمانية عشر ألف بيت ومثلها من المشور ، ومنها معلقة طرفة ؛ فلم أسأل إلا في بيت من المعلقة ، وأربعة أبيات من قصيدة شوقي في نابليون ، ومناقشة حول عمر الحيام ، وقضى الأمر . ولم آسف على هذا المجهود ، إذ كنت أبذله من أول يوم للعلم لا للامتحان » .

حسن البنا

سجّات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالباكستان

عز الطاعة وذل المعصية

في دعاء مأثور :

« اللهم إني أعوذ بعز طاعتك من ذل معصيتك » .

حق أن الإنسان يمضى قدماً أيّاً عزيزاً مادام عمله مطابقاً للشرعية التي اتخذتها أمته وتمسكت بها جماعته . ويسكن إلى نفسه ويستريح في وجدانه كلما نظر في سيرته فلم يجد فيها مخزية يظأطىء لها أو جريمة يخزى بها . ويأمن في سره وعلايته غير خائف أن يطلع الناس على ما يكرهون ، أو يفجأوه مقتراً جريرته ، مكذباً خفية ما يدعيه جهرة . فهو عزيز بعمله كريم بسيرته .

وترى الإنسان المتكبر المتجبر المختال المعز بسلطانه ، تسف نفسه إلى الخمازى فيخشى أن يطلع عليه فيهاب من يستصغره ، ويخاف من يحقره ، وينذل لحادمه ولكل إنسان يطلع منه على ما أسر من شناعة وأخفى من دناءة . وهو ، لولا إسفاة إلى الخمازى ، عزيز كريم لا يهاب أحداً في سر أو علن ، ولا يظأطىء رأسه لعظيم أو حقير . وانظر إلى الحاكم المسلط الذى ينظر إلى الناس ازدراء ، ويأمر فيهم وينهى عتوا وعلوا . انظر إليه حين تأخذه سورة القانون وقد ارتكب ما يؤاخذ عليه القانون . انظر إليه في هوانه وصغارته وضراوته واستكاثته ، تعلم فرق ما بين الاستقامة والاعوجاج ، والطاعة والمعصية ؛ فاحذر المذلة يا بنى . قل : اللهم إني أعوذ بعز طاعتك من ذل معصيتك .

الكريم يستحي من نفسه

تعرض سائل لأحد الأجواد فأعطاه كثيراً . فقيل له : هذا كثير والرجل لا يعرفك . قال : ولكنى أعرف نفسى . ورحم الله شاعر الترك الحماسى نامق كمال . يقول : إن من يستحي من الناس ولا يستحي من نفسه يرى نفسه أخس الناس جميعاً .

إن الدرجة العليا من كرم النفس أن يتجنب المرء الدنيا ، ترفعا وتكبيرا عنها وإن أمكنت وتهيات في مأمن من العيون ، وأن يحمل نفسه تكاليف المعالي ومشقات المروءة حباً لها وطموحاً إليها ، بما يراها جديرة بنفسه ، ويرى نفسه أهلاً لها ، لا يرجو من أحد جزاء ولا شكورا ، ولا يبغي بها رياء ولا سمعة .

فهو يستحي من نفسه أكثر مما يستحي من غيره ، أنفة من الصغار ، وعشقا للعظام . ورحم الله شاعر العرب أبا الطيب يقول :

وترى الأبوة والمروءة والفتوة في كل مليحة ضرانها
هت الثلاث المانعاني لدني في خلوتي لا الخوف من تبعاتها
الكريم لا يبالي بسلطان القانون ولا سطوة السلطان ولا حكم الجماعة لأنه في غنى
عن هؤلاء جميعا بسلطان من قلبه لا يغفل ولا يضعف ، وسطوة من وجدانه لا تلين ،
ولوم من نفسه لا ينقطع ؛ كذلك نريد الناس أحرارا إلا من سلطان الوجدان ،
كراما يستحيون من أنفسهم قبل أن يستحيوا من الناس .

لا ترجع الأنفس من غيها ما لم يكن منها لها زاجر

من ضمائم الأُميري

لكل نبا مستقر

سَأَصْبِرُ حَتَّى أَنْالَ الظَّفَرَ وَلَا أَسْتَحِثُّ رِكَابَ الْقَدَرِ
وَكَيْفَ أَغَالِطُ نَفْسِي فَأَحْسِبُ أَنَّ سَبِيلَ الْمُنَى مُخْتَصِرُ
وَإِنِّي لَمَّا هَبْتُ حِجَابَ الزَّمَانِ وَأَدْرَكْتُ مَا قَدْ أَسْرَ
تَيَقَّنْتُ فِيهَا تَيَقَّنْتُ « بِأَنَّ لِكُلِّ نَبَا مُسْتَقَرَّ »
نَسِيرُ الْحَيَاةِ عَلَى هَوْنِهَا تَعَجَّلْ ذُو حَاجَةٍ أَوْ صَبْرُ

عمر بهاء الدين الأُميري

باب الكُتب : نقد وتعريف

* من أثر النكبة

* فقه الاسلام

١ - من أثر النكبة

للأستاذ محمد نمر الخطيب المطبعة العمومية بدمشق سنة ١٩٥١

من آفات الشعوب النسيان ، هذه الآفة التي تكاد تكون طبيعية في الإنسان ؛ فهو ينسى نعمة الله إن أصابه ضرر ، فيذهب إلى اليأس والكفران ؛ وينسى الشدة بعد أن تزول ، فيستبد به الفرح والخلاء . وقد أبان الله تعالى هذه الطبيعة إذ يقول في سورة هود عليه السلام : « ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليكفور ، ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح غفور » .

وهذا كتاب أتى يذكرنا بنعمة الله علينا ، معشر العرب والمسلمين ، عندما كان أمرنا مجتمعاً ، وعندما كان أهل فلسطين آمنين في وطنهم . كما أنه يدير على أعيننا « فلم » نكبة فلسطين باليهود وبملوك العرب وزعمائهم الذين اتخذوا الأمر هزواً ولعباً ، على حين كان الأعداء ومن كانوا وراءهم يجدون ، هل في ذلك عبرة . وذكرى لقوم مؤمنين !

فهو يتحدث عن فلسطين وكيف ضاعت مدنها وقراها ، وكثير من زعماء العرب يتفنون وقمة اللاهي المتفرج ! وهو يتحدث هذا الحديث المؤلم المبكى ليشير من جديد الحمة ويوقد الشعوب لغسل هذا العار باسترجاع فلسطين . وهو يوقن أن هذا الشعور إذا ضاع ، « فإن فلسطين لم تضع وحدها ، ولكن ضاعت معها البلاد العربية بأجمعها » .

والأخ صاحب الكتاب من علماء فلسطين المجاهدين ، وأقام كتابه على تقرير رسمي عن حالة اللاجئين رفعة إلى رئيس الجمهورية السورية فأحدث في الدوائر العربية

أثراً بالغاً عميقاً . هؤلاء اللاجئون « الذين كانوا بشرّاً وكانوا ناساً ، قبل أن تتدخل ملوك العرب وزعمائهم في قضيتهم .. أما الآن ، فهم في عرف العالم اللاجئون » ! ص ١٠

فإذا تجاوز القارئ مقدمة الكتاب إلى صلبه ، أخذت الحقائق المؤلمة تتوالى أمام ناظره عن نكبة القدس والمسجد الأقصى ، وحيفا ومصرعها وأسبابه ، ويافا واللد والرملة ، وصفد وعكا . . . إلى آخر مانسينا من أحداث كانت حرية بان تؤرق منا العيون وتقض الجنوب ، حتى نسترجع هذه القطعة المقدسة من الوطن الأكبر ، أو نهلك دون ذلك .

وقد ختم المجاهد الكبير كتابه المؤثر الذي قصد به غرس هذه الحقيقة في قلوبنا ، وهي ن إنقاذ فلسطين واجب على كل عربي ومسلم ، لأنها بلد كل عربي ومسلم . نقول ختم كتابه ببيان السر في عدم نجاح الجيوش العربية السبعة (ص ٣٩٠ - ٣٩٢) ثم أتبع ذلك باقتراحات عملية هامة يجب الأخذ بها إذا أردنا حقاً إرجاع فلسطين إلى مكانها من الوطن العربي الإسلامي الأكبر (ص ٣٩٦ - ٣٩٧) ٩ .

٢ - فقه الإسلام

للأستاذ حسن أحمد الخطيب مطبعة سيد علي حافظ عام ١٩٥٢ ٤٢٥ ص ك

هذا كتاب يحىء في أوانه ، أراد به مؤلفه الفاضل « إبراز محاسن الشريعة بجمع الهام من أصولها وقواعدها ، وذكر شيء من فروعها وأحكامها ، وبيان ما يثبت أنها صالحة للأئمة في كل عصر ، ووجوب الرجوع إليها في تشريعنا ، وذكر شهادة أساطين العلم والقانون في الشرق والغرب بفضلها ، عسى أن يتحقق بذلك توجيه أولى العزم إليها » . فهو كتاب ، كما نرى ، فيه من الفقه بمعناه المعروف ، ومن أصوله وفلسفته . وهو دعوة قوية لدراسة دراسة مقارنة رجاء الاستفادة منه كما ينبغي في تشريعاتنا الحديثة ولا عجب أن يكون هذا الكتاب كذلك ، ومؤلفه رجل من كبار رجال دار العلوم . ولبعض أسلافه الكرام جولات صادقة في هذا الميدان .

وقد بدأ الكتاب بالكلام على أصول الفقه المتفق عليها بين الجمهور : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ؛ فخص كلاماً منها ببحث موجز مركز ، بين فيه قيمته ومنزله

في التشريع ، ولم ينس أن يتحدث عن الطائفة التي حاولت رفض السنة واعتبارها من أصول التشريع . وكما تكلم عن التشريعات القرآنية تفصيلاً (ص ١٥ وما بعدها) ، أتى بكثير من التشريعات النبوية (ص ٩٤ - ١٤٥) . وفي الإجماع ترى الحديث يدور على إمكانه وحُجَّتِهِ وجواز أو عدم جواز نقضه بإجماع آخر (ص ١٤٧ - ١٥٢) وكذلك في القياس يتكلم عن حجتيه وما لا يجري فيه القياس ونحو ذلك من مباحثه (ص ١٥٤ - ١٦٦) .

وبعد ذلك يخلص إلى الكلام على الأصول موضع الخلاف ، وهي الاستحسان والمصالح المرسلة والاستصحاب وشرع من قبلنا ومذهب الصحابي ، وقد خصص لذلك الباب الثاني (ص ١٦٩ - ١٩٧) . ثم يجعل الباب الثالث (ص ١٩٨ - ٢٢٣) للكلام على أسباب اختلافات الفقهاء في استخلاص الأحكام من تلك الأصول كلها . ويتبع ذلك بالحديث في إفاضة عن القواعد الفقهية الهامة ، فذكر منها ٤٨ قاعدة ، راجعاً إلى المراجع الهامة في ذلك ؛ مثل الأشباه والنظائر لابن نجيم والسيوطي ، والفروق للقرافي .

وهنا نجدنا نسل إلى الباب الخامس في محاسن الشريعة ومزاياها ، ونجد نفس المؤلف طويلاً في بيان ما أراد ، ولا غرو فمحاسن الشريعة الإسلامية وخصائصها لا يكاد يحصرها العادة فتكلم عن يسرها ، وموافقتها للعقل ، وتحقيقها للمصالح العامة ، وديمقراطيتها ، وقيامها على الدين والأخلاق ، وتقابلها لحرية الرأي والتطور بالاجتهاد الصحيح ، وعنايتها بالمرأة ومنزلتها في المجتمع ص ٢٦٦ - ٣٤١ . وأتبع ذلك كله بالكلام على الاجتهاد ومعناه وشروطه ، وعن التقليد وضرره ، وعما يجب علينا في هذا العصر . . . (ص ٣٤٣ - ٣٦٣) .

وأخيراً ، تحدث عن الفقه الإسلامي والقانون الروماني ، وعن الشريعة والقانون المقارن ، وعن واجب الأزهر والجامعة ، وختم الكتاب بشهادات قيمة للشريعة من أعلام القانون في الشرق والغرب ، وكان هذا ختاماً طيباً لبحث قيم .

وهكذا ، نرى أي تنوع في البحث ، واستقصاء في بعض جوانبه ، وعناء اضطلع به المؤلف الفاضل في غير من ولا استعلاء ، وكل ذلك بأسلوب قوى تمتع جذاب تتوقعه كثيراً من خريجي دار العلوم في عهدنا الحيد :

هذا ، ومن حق الكتاب — وله وزن في باب — ألا نمر به مسرعين دون أن نوفيه بعض ما يجب له من النقد ، وأي كتاب يؤلفه بشر يخلو من هتات أو مأخذ

١ — كنا نود أن نظفر من الأستاذ المؤلف بكلمة عن النسخ في القرآن والسنة ، وبخاصة والحديث تجدد عن ذلك في هذه الأيام ومن جماعة لهم رأى مسموع في العالم الإسلامى .

٢ — أتبع المؤلف كل باب بثبت بالمراجع التى اعتمد عليها ، ولكن القارىء يكاد لا يحس أثناء القراءة بالإفادة من بعضها ، كما لم يشر إلى الكثير منها حين البحث مبيناً مواضع الأخذ منها .

٣ — فى الكلام عن أقوال الجماعة التى ترى السنة أصلاً من أصول التشريع ، نرى المؤلف يعتمد على مراجع ثانوية ، وذلك نراه ظاهراً فى بحوث أخرى أيضاً (١) ، على حين أن الشافعى أول من حكى أقوال هذه الطائفة ورد عليها فى كتابه « جماع العلم » وهو كتاب معروف (٢) .

٤ — فى بيان الكتب الهامة التى عنيت بأحاديث الأحكام ، نرى الأستاذ الفاضل يندى كتاب السنن الكبرى للبيهقى طبع الهند ، وكتاب فتح البارى لابن حجر ، مع أن صاحبه « نيل الأوطار » و « سبل السلام » قد أفادا كثيراً جداً من صاحب الفتح .

٥ — وعند الكلام عمن خالف فى القياس من الفقهاء ، كنا نرى واجباً ذكر ابن حزم وكتابه : « الإحكام فى أصول الأحكام » و « المحلى » وكلاهما معروف ومتداول .

لا زبد أن نطيل فى ذلك ونحوه ، وحسبنا أن القارىء العربى يفيد من هذا الكتاب فائدة كبرى ، وبخاصة شباب « الإخوان المسلمون » ومن إليهم ، فى هذا الوقت الذى قوى فيه الوعى الدينى والقومى ، وأخذنا نلح فى وجوب دراسة الفقه الإسلامى دراسة مقارنة والإفادة منه ، هذه الدراسة التى تسهم فيها كلية الحقوق بجامعة القاهرة بالنصيب الأكبر ، وهذا فضل يجب أن نعترف به لها .

(١) بل قد يعتمد على ما لا يصح أن يكون مرجعاً فى كتاب هام مثل هذا الكتاب ، مثل الصحف اليومية والمجلات . فقد أخذ حديثاً عن الترمذى من مجلة الأزهر (انظر ص ٣١٨-٣١٩) فيمن ينهى عن أمر ويأتيه ، على حين أنه موجود فى سنن الترمذى ج ٤ : ١٧٢ طبعة مصطفى محمد سنة ١٩٥١ فى باب الأمر والنهى . وكذلك أخذ قوله خالد بن الوليد حين مات على فراشه (من ٣٣٢ من الكتاب) عن مجلة الأزهر أيضاً ، وكان الواجب الرجوع إلى الطبرى أو ابن الأثير أو الإصابة لابن حجر من مراجع التاريخ الأصلية .

(٢) جاء هذا الكتاب فى ج ٧ من كتاب الأم لشافعى ص ٢٥٠-٢٦٧ ، ثم نشره مستقلاً الأستاذ الشيخ أحمد شاكر بدار المعارف بالقاهرة عام ١٩٤٠ م .

الطب عند القدماء

للأميرالاي الدكتور أحمد الناقة

(٣)

وحين امتد نور الإسلام إلى المغرب ازدهرت في كنفه الحضارة العربية ، وأصبحت قرطبة كعبة العلوم والمعارف ، وصارت دور الكتب فيها تزخر بمئات الآلاف من الكتب . وكان للطب من تلك النهضة مكان الصدارة فقد ظهرت طائفة من نطس الأطباء استوعبت تراث الأقدمين ، ثم نقحته وأضافت إليه الكثير من فيض إصالتها وتجربتها وخبرتها .

وكان أبو القاسم أول من خص الجراحة بكتاب ذكر فيه فوق ٢٠٠ أداة جراحية ، وابتدع شق المسابر لاستخراج الأجسام الغريبة من البلعوم ولفحص مجرى البول ولعلاج الأذن .

وقد استحدث بعض أوضاع الولادة ، وأجاد وصف عملية الشق طى حصاة المثانة في البكر والثيب وجدد وعدل أدوات الولادة .

وكان له في طب الأسنان باع طويل فجدد أدواته وعملياته . وكان يثبت رأس المريض بين ركبتيه ليخلع سنه ، وسبق إلى وصف صدا الأسنان وتثبيتها ، والأسنان الصناعية ، وجعل مكان السن المخلوع سنا من عظم الثور بمسكه إلى السن المجاور سلك من المعدن .

وهو أول من ذكر «مرض النزيف» الذي تنقله الأمهات إلى أبنائهن حيث قال : إنه وجد في إحدى القرى قوما يموتون من كثرة ما تنزف جراحهم وإذا حلك الطفل منهم لثته زفت حق المات وإنه لم ير هذا المرض في غير تلك القرية ولم يثر عليه في كتب الأولين وأنه لا يعرف له سبباً ولا طباً . وكذلك نحن اليوم .

وكان يؤثر السكى على المشرط ، وقد عالج به ما يزيد على خمسين مرضاً .

وفي أشبيلية ظهر ابن زهر الذى مارس الجراحة ومهر فى العلاج عن أبيه وجده . عالج الأمراض والسموم بأدوية وردت فى دستور أدوية لندن حتى منتصف القرن الثامن عشر .

وبقي الناس يحكون جلدهم من الجرب وهم لا يهتمون إلى أصله حتى اكتشف ابن زهر حشرته التي لا تكاد ترى من فرط الصفر .

وقد عرف أطباء العرب السرطان وعرفوا أن الجراحة فيه لا تجدى إلا أول المرض . وقد عرف ابن زهر سرطان المعدة والبلعوم وأدخل فيها أنبوبة من الفضة حين تعذر البلع ، وصب فيها السوائل المغذية ولم يزد الطب الحديث شيئاً فوق ذلك .

وهو أول من قال بإمكان « التغذية الشرجية » السائلة كاللبن والبيض والحساء ونحوه . وقد استعمل لذلك أنبوبة مثبتة على مثانة الضأن . وقد سخر منه معاصروه ومن تبعهم ولم يقرروه على التغذية الشرجية حتى أيدها العلم الحديث ومارسها أطباء اليوم . وفي كتابه « التيسير » عارض كثيراً من آراء ابن سينا وجالين وجعل العبرة بالخبرة العملية والتجربة المادية .

ثم ظهر بعده صديقه وتلميذه ابن رشد الذي نشأ في قرطبة من أسرة تولت القضاء وقد كان هو قاضياً ثم نزعته نفسه إلى الطب والفلسفة فلم يصرفه القضاء والمناصب عن طلب العلم . كتب كثيراً في فن العلاج وقرر أصلاً من أصول الطب حين أشار إلى « المناعة » التي تحمي الإنسان أن يصاب بالجذري غير مرة .

وقد عرف العرب قدر فلسفته فعكف على دراستها ؛ فكانت من أقوى العوامل في يقظته ونهضته في القرن الرابع عشر .

وخلفه تلميذه « أبو عمران موسى بن ميمون » طبيب صلاح الدين في القرن الثاني عشر . وقد ضمت حاشية صلاح الدين أطباء من المسلمين واليهود والنصارى فكان ذلك دليلاً على سماحة الإسلام وحجة على أعدائه الذين يصفونه عن جهالة بالتعصب البغيض وما يصفون إلا أنفسهم وهم لا يشعرون .

وقد بلغت هذه السماحة أوجها حين اشتد المرض على عدوه ملك الإنجليز « ريتشارد قلب الأسد » وهو على رأس الجيوش الصليبية فأوفد صلاح الدين إليه طبيبه الخاص ، وحين برحت به الحمى أرسل إليه كذلك قافلة محملة بالثلج .

وقبل ألف عام بلغ الخليفة المقتدر أن بعض المرضى يموتون من جهل الأطباء فدعا جماعة من كبار الأطباء وجعل عليهم رئيساً : سنان بن ثابت ، فتألفت بذلك أول لجنة لامتحان الأطباء تقدم لها نحو ٨٦٠ طبيباً فأجازت منهم من أثبتت علماً وتجربة .

وكانت له عناية بمرضى السجون ، ودراية تامة بإدارة المستشفيات في بغداد . ومنذ ذوى مستشفى جنديشاپور قامت المستشفيات وانتشرت في حواضر الإسلام :

دمشق ، القاهرة ، قرطبة ، أنطاكية ، بيت المقدس ، مكة ، المدينة ، الموصل ، حلب ، حماة ، أصفهان ، شيراز ، الجزائر ، الإسكندرية .

وكان للرازي طريقة عجيبة يكشف بها أنقى المواقع هواء وأصحها مناخاً لإقامة المستشفيات وذلك بتعريض قطع اللحم الطرى في مواقع شتى ؛ فأبهرها أسرع إليه العطب تحاشاء وأبهرها أبطأ به العطب زكاه .

وقد أمر الرشيد أن يلحق بكل مسجد مستشفى ومدرسة ، وبني مأوى للمجانين . وفي القرن الثاني عشر كان في بغداد نحو ٦٠ مستشفى تستمد حاجاتها من بيت المال ، ويمنح ناقهوها أرزاقهم حتى يتم لهم الشفاء .

وفي دمشق بنى نور الدين من ماله الخاص مستشفى كبيراً يعنى بكل من جاءه من المرضى ، ويسكت حتى على أدعياء المرض يستضيفهم ثلاثة أيام ويطعمهم الدجاج والفطير والفاكهة والشراب .

وحدث أن عولج المنصور بهذا المستشفى من منصف أصابه فأعجب به إعجاباً شديداً ونذر إذا صارت إليه السلطنة أن يبنى مستشفى يضارعه . ولما تحقق له ما أراد بعد سبع سنين أوفى بما عاهد الله عليه ، وصار يركب كل يوم يشرف على البناء ويعمل فيه بيديه فاستثار بذلك حماسة الأهلين فأقبلوا على معونته حتى تم البناء في سنة واحدة ، وأنشأ إلى جواره مكتبة ومدرسة ومسجداً رتب له خمسين مقراً يتلون كتاب الله بالليل والنهار ، وثلاثة يقرأون حديث الرسول للتلاميذ .

وأقبل للرضى من كل فج إلى المستشفى حين علموا حسن الاستقبال وجودة العلاج وعناية المرضين من الرجال والنساء ومهارة الأطباء ووفرة الدواء لكل داء . وكان لكل مرض غرفه الخاصة : كالحمى ، والرمد ، والجراحة ، والأمراض الباطنية ، وكان للناقهن جناح خاص بالرجال وآخر خاص بالنساء مغطى بمظلة تقيهم حر الشمس حين يمشون وحين يستريحون . وتفجرت نافورات المياه في قاعاته الكبرى لتلطيفاً للهواء

وكان به عيادة خارجية لفحص وعلاج المرضى القادرين على الحضور إلى المستشفى ، أما الذين لا يستطيعون الحركة فقد كان الأطباء يعودونهم في منازلهم ثم يرسلون إليهم حاجتهم من الدواء والغذاء . وكان المريض الفقير إذا خرج من المستشفى أعطى من المال ما يسد عوزة حتى يقوى على العمل .

ونصح طب العرب حتى فرقوا بين أمراض البدن وأمراض النفس ، فطبوا الأولى

بالدواء وللثانية بالعلاج والإيحاء . ومن الأمثلة على ذلك ما روى عن امرأة شل ذراعاها فعرف الطبيب أنه ناشئ من علة نفسية ، ولما جاءت للعلاج كان الطبيب في جمع من الناس وطى حين غفلة رفع النقاب عن وجهها فاحمر خجلا ، ثم رفع ثوبها فوق رأسها فانكشف سترها وبحركة لا إرداية رفعت ذراعيها وأزالت ثوبها فشفيت .

وعالج الرازي أميراً أقعده « الرومازم » فلم يفاج ، فصحبه إلى حمام خارج المدينة وعالجه بالماء الساخن والبخار ، ثم استأذنه وغاب عنه قليلاً ثم عاد إليه ويده خنجر ، وصار يهدده بالقتل ويسبه ويألمه جزاء ما استعلى عليه وأساء إليه ، فثار الأمير ثورة شديدة نسي لها مرضه وقام إلى الطبيب يريد به شراً فبرى . وكان لا يستطيع قبل ذلك حراكاً . وكان الرازي قد فر على ظهر جواده . وبعد أسبوع أرسل خادمه إلى الأمير يحمل خطاباً يعتذر فيه عما بدر منه بأنه إنما أراد أن يستثير غضبه فيجرك فيه الأخلاط الحارة الكامنة لتغلب ما بقي من العلة فيكون الشفاء ، فعفا الأمير عنه وطلب عودته ليجزيه خير الجزاء ولكن الطبيب آثر ألا يعود تفادياً للخرج فأرسل إليه الأمير خذعة سنية : جبة وعمامة وسلاحاً وغلماً وجارية وجواداً مطهماً ، وأجرى عليه كل عام ٢٠٠٠ دينار و ١٠٠ حمل بعير من الخطة .

وطب ابن سينا لعلل النفس بالإغراء والإيحاء ونحوها من العلاج النفسى فسبق علماء اليوم بألف سنة أو تزيد .

وفي أواخر القرن الثالث عشر كان ابن النفيس على رأس أطباء القاهرة لحص قانون ابن سينا وعلق عليه وعارض فيه جالان وابن سينا بقوله : إن فاصل بطين القلب مقفل واكتشف دورة الدم الصغرى قبل أن يهتدى إليها الإفرنج بثلاثة قرون وقد كانوا يدعون لأنفسهم فضل سبق إلى هذا الكشف العظيم إلى وقت قريب .

وكان ابن البيطار طبيب أمراء مصر عالماً بالنباتات وخواصها ، طوف في الآفاق بحثاً عن العقاقير ووصف في كتابه نحو ١٤٠٠ عقار كان له فضل سبق إلى وصف ٣٠٠ عقار منها جاء ذكرها لأول مرة في تاريخ الطب ، وبعد كتابه مرجعاً للعلماء حتى اليوم . أما الصيدلة فقد كان لها عند العرب شأن كبير لأنهم يميلون لمباحث الكيمياء وتزخر بلادهم بشق العقاقير . ولأهل فارس بصير بالعطور ومواد التلوين . وعلى يد العرب عرفت الدنيا أول الصيدليات على النحو الذى نراه اليوم .

ومنذ القرن الحادى عشر راجت تجارة العقاقير الشرقية في بلاد الغرب .

وجاء في « تاريخ الأطباء » لابن أُسَيْبِيَّة ذكر نحو ٤٠٠ من أطباء المسلمين ساهموا في تدعيم الطب العربي وتخليد ذكره .

وفي القرن الرابع عشر قال ابن الخطيب حكيم غرناطة بالمدوى ولزوم عزل مرضى الطاعون رغم الفِـدَـرِيَّة التي كانت سائدة حينذاك .

وكان في القاهرة في القرن السادس عشر طبيب يدعى « داود الأنطاكي » كتب « تذكرة داود » وصف فيها كثيراً من الأدوية التي لا تزال مرجع العامة في التداوى حتى اليوم .

وكان في بغداد إدارة خاصة تشرف على المهنة وآدابها . ومنها مهنة الطب : تطهرها من أدياء الطب والجراحة والصيدلة ، ثم أخذت بذلك حواضر الإسلام .

وقد قال المنصفون من مؤرخي الغرب إنه لولا حضارة الإسلام لزال في ظلمات القرون الوسطى كل أثر لثراث العلوم والمعارف ؛ فقد صان العرب هذا التراث وزادوه ، وكانوا هم الذين علموا الغرب فأيقظوه من سباته ووضعوا أسس نهضته .

وإذن فلا عار على المسلمين - وقد دار الزمن دورته - أن يعودوا فيقتضوا بعض الدين الذي لهم في أعناق الغرب ، ويستردوا شيئاً من فضل آباءهم عليه ، ثم يستأنفوا بعد ذلك جهادهم في سبيل الله ، مهتدين بنور العلم ، مزودين بقوة الإيمان عاملين لخير المسلمين والناس أجمعين « ولينصرن الله من ينصره . إن الله لقوى عزيز » .

كلمة الله أجمع

قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله ابن المبارك فقالت أم ولد لهارون كانت مشرفة على ذلك : من هذا ؟ فقالوا لها : عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله ابن المبارك ، فقالت : هذا والله المُلْك لا مَلِك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان !

صلاة ...

« شوق إلى الله ... »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

يا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ جِئْتُ أَرْجِي صَلَوَاتِي
ضَارِعاً تَخْشَعُ عِيْدَانِي . . وَتَجْنُو نَفْسَانِي
وَتَنَادِيكَ صَبَابَاتِي بِكُلِّ اللَّهْجَاتِ . .
إِنْ تَلَقَّيْتُ ، فَفِكَ النُّورُ يَطْوِي لَفْظَاتِي
أَوْ تَهَامَسْتُ أَحْسَنَ النُّورِ يَفْزَاوُ هَمْسَاتِي
وَإِذَا أَدْعُو . . أَرَى الْأَنْكَوَارَ تُرْدِي كَلِمَاتِي
وَإِذَا أَصْنُتُ ، يَدْعُو كُلُّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِي . .
نَشْوَةَ الْإِيمَانِ بِحَرِّ زَاخِرٍ بِالرَّحْمَاتِ
وَجِنَانٍ فِي فِضَاءِ النَّفْسِ خُضِرُ الْعَذَابَاتِ
تَصْدَحُ الْأَحْلَامُ فِيهَا كَطَيُورٍ نَائِمَاتِ
وَيَفِيضُ الطُّهْرُ مِنْهَا كَعُيُونٍ جَارِيَاتِ
وَتَعْبُ الرُّوحُ مِنْهَا كُلُّ أَطْيَابِ الْحَيَاةِ . .

ذَلِكَ الصَّارِبُ فِي لَيْلٍ ضَرِيرٍ الظُّلُمَاتِ
مَرْقَى الشَّوْقِ حَنَاءُ لَطِيفِ الْمَغْفِرَاتِ
غَنَّتِ الْحُبَّ لَيْالِيهِ وَجُنَّتِ بِالْفِدَاةِ

وتلاشت في صداها كهزيج الساقيات ...
ظامى للنور ملهوف الحشا والنظرات
أرأيت الطير في عودتها للربوات !
أرأيت الريح في هبتها بالخلوات !
أرأيت الحلم في سخوة جفن من سبات !
هكذا ينفضه الوجـد لرؤيا عرفات ...
والها يشتا في واديه بعض الخطوات !
يشقى لو تكون الروح ذر الحصىات
وتكون النفس همسا حائما بالشرفات ...
أيها البيت .. سلاما علوي النفحات
تربك الميمون قدس شاهق الحرمات
كل من مر عليه مر مسحور السمات
هرج الناس إلى بابك من كل الجهات
طرحوا الدنيا وخفوا بأوب ناديات
حسرا يمشون لله بأيد ضارعات
وصدور حائيات من عذاب المعصيات
وقلوب جارت أسرارها بالتلبيات
وجفون من ضياء الله دارت مسبلات
ونفوس قانتات ثابتات عابدات
ذائبات في رحيق النور نشوى قانتات
عاشقات منبع الطهر منار الكائنات

سَيِّدَ الدُّنْيَا ، شَفِيعَ الْحَقِّ ، سِرَّ الرَّحْمَاتِ
 رَبِّ بَارِكْنَا بِهِ . . . آصَالَنَا مُدَّوَاتِ
 وَابْعَثِ الشَّرْقَ بِنُورٍ مِنْهُ يَفْزُو الظُّلُمَاتِ
 وَيُعِيدُ الْمَيِّتَ الْمَامِدَ حَيًّا لِلْحَيَاةِ . .
 بَعْدَ مَا شَابَتْ بِهِ الْأَغْلَالُ فِي أَمْرِ الطُّغَاةِ ،
 قَيِّضَ اللَّهُ لَهُ نَارًا عَلَى كَفِّ الْعُبَاةِ
 شَبَّهَا الْأَحْرَارُ فِي وَجْهِهِ الْقَيُودِ الْغَاشِمَاتِ
 فَتَلَاشَتْ فِي لَظَاهَا بَيْنَ طَبَاقِ الرِّفَاتِ . .



في جوار إقبال شاعر الإسلام

للقاضي محمد محمود الزيرى

شاعر اليمن

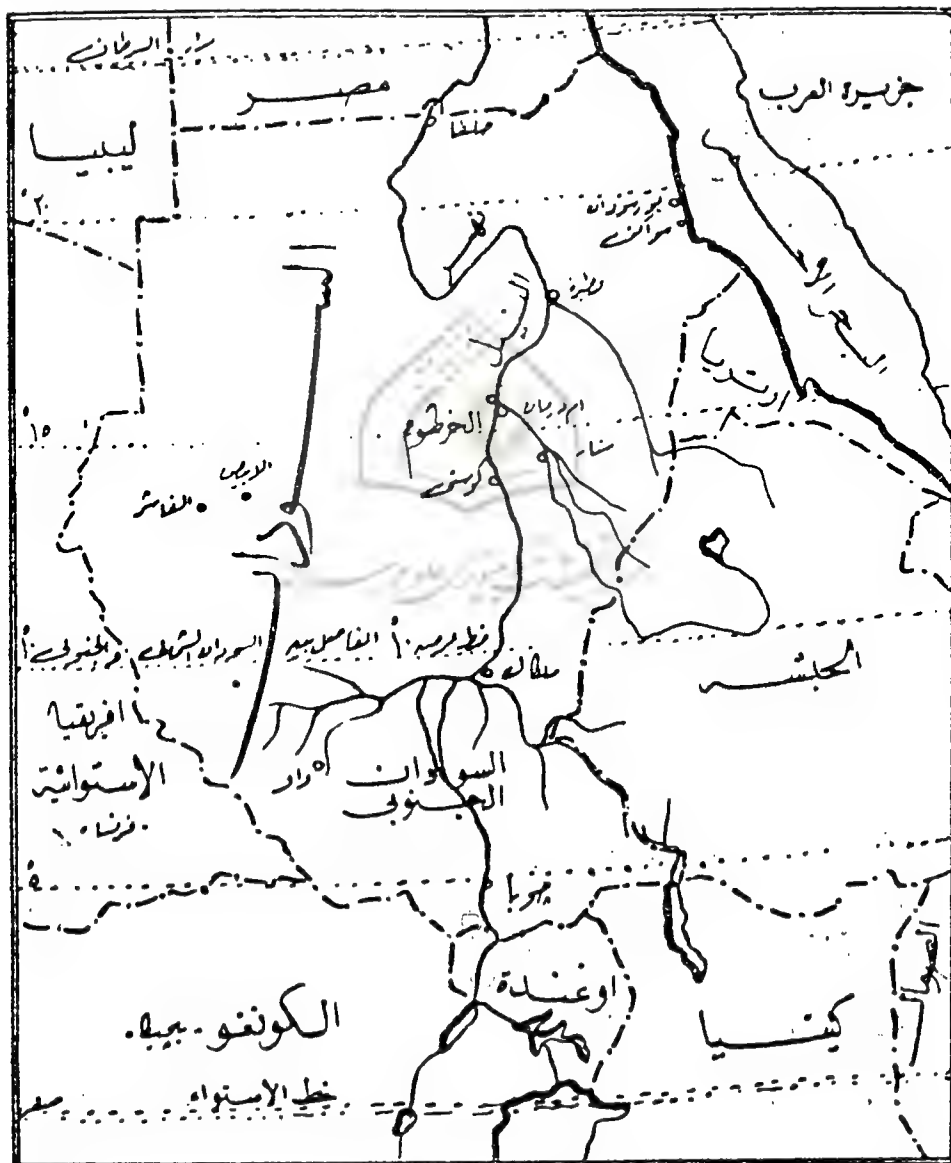
أف هذا الإنسان سلطان هذا الكون أم خلت منه شيئاً فرياً ؟
 سوف أزجى إليك أحداثاً الأعمى الذى لم يعد يرى اليوم شيئاً
 لم يجد نفسه ولم يبصر الدنيا ولم يعرف الإله العلّياً
 أف هذا الذى صنعت بكفيك وأبدعت منه خلقاً سويّاً

يا أسير الحضارة العصرية استمع لحظة لقولة حق
 إن فقد اليقين فى الحرية هو شر من كل قيد ورق

السُّودَانُ الْمُسْلِمُ

للأستاذ محمد الخير عبد القادر

بيئة مدارية لاحقة وعقيدة إسلامية سمجة ودم عربي أصيل ، تلك هي العوامل الكبرى التي شكلت تاريخ السودان الحديث ورسمت خصائص المجتمع السوداني وحددت اتجاهاته . فالسودان — من الوجهة الجغرافية — هو الامتداد الطبيعي لوادي النيل الشمالى الذى يمثل الإقليم المدارى بخصائصه المناخية ومظاهره التضاريسية . والشعب السودانى (١) — فى مجمله — هو سليل الأمة



العرية المجيدة التي اصطفاه الله لتحمل أمانة السماء إلى الأرض وتبشّر بدين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فترابي مجتمعاً وتؤسس دولة وتنشئ حضارة. وشامت إرادة الله أن يكون لوادي

(١) نحن هنا نتحدث عن السودان الشمالى الذى يمتد من خط العرض العاشر شمالا ويبلغ تعداد سكانه نحو ٦ ملايين نسمة .

النيل الجنوبي نصيب من فور من هذا التراث الإسلامي الخالد فتشلت الهجرة العربية إلى جنوب
الولدى عن طريق النيل في منتصف القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وتبلورت
الهجرة في مملكة الفونج العربية المسلمة التي أطاحت بملكيتين مسيحيتين كانتا تحتلان الصحابة
في تاريخ السودان منذ القرن السادس الميلادي وهما مملكة «القرنة» التي كانت تشمل ما يعرف
اليوم بالمديرية الشمالية ومملكة «علوه» التي تحتل مكانها الآن مديرية الخرطوم .

والى ذلك العهد الباكر يرجع تاريخ الطرق الصوفية ونشأتها في السودان . والطرق الصوفية
تحتل مكانا مرموقا في تاريخ السودان لأنها تعتبر من أقوى العوامل التي تتحكم في توجيه المجتمع
السوداني لما كان يتمتع به مشايخ هذه الطرق من ثقة ومحبة وتقدير ، فتمثلت بهم قلوب الجماهير
ودان لهم حلول الفونج بالتوجيه والإرشاد في المسائل الروحية والسياسية على السواء . فقبل
تأسيس مملكة الفونج أخذ المشايخ والعلماء يتوافدون إلى السودان من بلاد الحجاز عن طريق
البحر الأحمر كما أخذ السودانيون ينزحون إلى الحجاز طلباً للعلم في مكة والمدينة . ومن جراء هذا
الاختلاط اتخذت الطرق الصوفية سبيلها إلى السودان فأُسست المعاهد الدينية لنشر الثقافة
الإسلامية في أوساط الوثنية المظلمة . ولكن الموجة الأولى من الطرق الصوفية التي تمسرت
إلى السودان - ومنها الشاذلية والقادرية - لم تترك أثراً قويا بالقياس إلى الموجات التي تلتها
في مطلع القرن التاسع عشر . ففي بداية هذا القرن أخذت الحياة تدب في كيان العالم الإسلامي
كرد فعل لحركة للتوسع الاستعماري الأوربي . ومن مظاهر هذه اليقظة الإسلامية قيام الحركة
الوهابية في الحجاز واتساع نفوذها وحملتها على البدع التي ألصقت بالإسلام في ظل الطرق للصوفية .
وليس دخول الطريقة الميمنية للسودان إلا نتيجة من نتائج الصراع بين الحركة الوهابية والطرق
الصوفية في الحجاز . وتسكن أقوى الطرق أثراً في السودان هي الطريقة الميرغنية والطريقة
الإدرسية اللتان تمزوان أصلاً إلى السيد أحمد بن إدريس القاسمي الذي عاش في الحجاز في النصف
الأول من القرن التاسع عشر والذي كان يعتقد أن في عنقه أمانة هي تجديد دعوة الإسلام
وتوحيد صفوف المسلمين الذين مزقهم الخلافات المذهبية والفرقة الطائفية . ومن الطريف أن نذكر
أن هذه البواعث هي نفس البواعث التي دفعت السيد محمد أحمد المهدي لقيام بحركته المعروفة ،
وإن أهداف السيد أحمد بن إدريس هي نفس الأهداف التي توخاها السيد المهدي وثار من أجلها .
ومن أشهر حوارى السيد أحمد بن إدريس السيد محمد عثمان الميرغني الذي يرجع إليه الفضل
في نشر الطريقة الميرغنية - نسبة إليه - في معظم أنحاء السودان الشرقى والغاملى وخاصة
في مديرية كسلا ومديرية الخرطوم والمديرية الشمالية وبعض المناطق في مديرية كردفان . وما زالت
هذه المناطق والمديريات تمثل أقوى مناطق النفوذ للطريقة الميرغنية تحت رعاية السيد علي الميرغني
خفيد السيد محمد عثمان تلميذ السيد أحمد بن إدريس .

وإذا كانت الطريقة الميرغنية أو «الحنفية» قد استأثرت بالنفوذ الأكبر في السودان الشرقى
والغاملى فإن السودان الأوسط والغربى ظل بمعزل عن تأثير الطرق الصوفية فهدت هذه العزلة
لقبول الفكرة المهدية السنية وذبوعها . ويمكن دلالة على ذلك أن السابقين من الأنصار الذين آمنوا
بدعوة المهدي وحلوا عبء الجهاد معه كانوا من أهل الجزيرة وكردفان ودارفور وعلى رأسهم
خليفة المهدي عبد الله التعايشي . وتمثل هذه المناطق اليوم موئل نفوذ المهديين أنصار السيد عبد الرحمن
المهدي بن السيد المهدي صاحب الثورة المشهورة . ولكن نذكر بخطرورة اليوم التي تلعب هذه

الطوائف الدينية من « مراغنة » (١) و « أنصار » (٢) يكنى أن نعلم أن الأحزاب السودانية : الانفصالية منها والاتحادية لا تستطيع أن تبرم أمراً ذا بال ما لم يكن لها سند من هذه الطائفة أو تلك .

نشأت الطوائف الصوفية اذن في ظل مملكة الفونج العربية المسلمة التي يمكن أن يعتبر قيامها اعلاناً رسمياً للدين الإسلامي وغلبة العنصر العربي - بلقته وخصائصه - في السودان . وإذا كانت مملكة الفونج قد فقدت سيطرتها السياسية على البلاد بعد حكم دام أكثر من ثلاثة قرون فإن العقيدة الإسلامية واللغة العربية والشمايل العربية ظلت راسخة في الشعب السوداني إلى اليوم . وقد أعقب انهيار مملكة الفونج فترة من الفوضى والاضطراب مهدت لقيام الحكم المصري بالسودان الذي امتد من مطلع القرن التاسع عشر حتى اندلعت نار الثورة المهدية في سنة ١٨٨١ فالتهمت ما تبقى من مفاصل ذلك الحكم في سنواته الأخيرة لتقيم على أنقاضه دولة الإسلام المسترشدة بالكتاب والسنة . وتساقطت مدن السودان تباعاً في أيدي الثوار حتى توجت الانتصارات الحربية للثورة بسقوط الخرطوم ومقتل غردون وإخضاع السودان بأسره لحكم « المهدية » الذي دام ستة عشر عاماً وانتهى بالفتح الإنجليزي المصري وتوقيع معاهدة سنة ١٨٩٩ التي خضع السودان بمقتضاها للحكم الثنائي - اسماً - الإنجليزي ، فعلا ذلك الحكم الذي ما زال السودان يئن تحت وطأته حتى هذه الساعة .

وربما يذهب بعض الباحثين في تفسير الثورة المهدية التي انتزعت السودان انتزاعاً من السيادة الحديوية إلى أن الثورة كانت هدماً لوحدة وادي النيل السياسية التي دأب الحديوي لإسماعيل بصفة خاصة - على استكمالها وتدعيمها منذ ولي الحكم باستصدار القرارات تلو القرارات من الباب العالي . وقد يكون صحيحاً أن الثورة المهدية فصلت وحدة الوادي كما كان يفهمها حكام مصر في ذلك الوقت ، ولكن الأمر لم يكن كذلك في منطق الثورة لأن الحركة المهدية لم تكن - في نظر المهدي وخلفائه - سوى نواة لثورة إسلامية عالمية تعود بالدين إلى بساطته ووضوحه وتطبق الإسلام تطبيقاً عملياً في شؤون الحياة المختلفة وتصرف المسلمين عن الجدل العقيم في فروع العقيدة وجزئياتها إلى أصول الإسلام وكياناته وتجمع شمل البلاد المنفرقة تحت راية الإسلام . ذلك أن الحركة المهدية لم تكن مجرد انقلاب عسكري وإنما كانت امتداداً طبيعياً للثورة الإسلامية الأولى التي حمل لواءها محمد صلوات الله وسلامه عليه فبنى مجتمعا وأسس دولة على نمط لم تعهده البشرية من قبل ولا من بعد . ولكن الثورة المهدية لم يقدر لها أن تبلغ غايتها لأسباب لا يتسع هذا المقال للخوض فيها .

لقد بنى المهدي دعوته على دعامين أساسيين أولاهما أن الإسلام دين الفطرة الإنسانية تلقاه النفس البشرية دون عناء أو مشقة (٣) وتستجيب له بفطرتها؛ فهو ليس وفقاً على طبقة المتصوفين والعلماء دون غيرهم وإنما هو دين الناس جميعاً ، ويقترن بهذه الدعامة أن اتجاه المسلمين إلى الخوض في الموضوعات الخلافية وجزئيات العقيدة طمس في نفوسهم حقيقة الإسلام البسيطة السهلة وباعد بينهم وبين الكتاب والسنة وهما المصدران اللذان لا يضل عنهما إلا هالك . والدعامة الثانية التي قامت عليها دعوة المهدي هي أن الدين ليس نظريات تحفظ وإنما هو منهاج يطبق (٤) فلا بد من

(١) المراغنة هم أنصار السيد الميرغني وأتباعه .

(٢) « الأنصار » هم أتباع السيد عبد الرحمن المهدي .

(٣) دكتور شيكة : السودان في قرن : ص ٢٣٥ - ٢٣٦

(٤) نفس المصدر : ص ٢٣٦ - ٢٣٧

الاتهام بأوامره والانهاء عن نواحيه . ويقترن بهذه الدعامة أيضاً أن الدين منهاج شامل لا يقبل التجزئة فهو ينظم شئون الحياة جميعاً من أحوال شخصية ونظم إدارية وتنفيذية وقضائية وغيرها . ونورد على سبيل المثال بعض أقوال المهدي وخليفته عبد الله للتدليل على حقيقة دعوته وأهداف ثورته . فقد جاء عن المهدي أنه قال (١): « طريقنا لا إله إلا الله محمد رسول الله ومذهبنا الكتاب والسنة ؛ ما جاء من عند الله على رؤوسنا وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم على رقابنا وما جاء من الصحابة إن شئنا عملنا به وإن لم نشأ تركناه » وجاء في الإنذار الذي وجهه خليفته المهدي عبد الله التمايضي إلى توفيق خديوي مصر « واعلم أن مادعوتك إليه هو الدين الحق القويم والمنهاج الواضح المستقيم فلا تعرض عنه إلى نزعات الباطل ؛ فإن الحق جدير بالاتباع والباطل حري بالتلاشي والضياح (٢) » .

لم تكن الثورة المهدية إذن حركة عسكرية ولا انقلاباً محلياً ، وإنما كانت تجديدًا لدعوة الإسلام ومحاولة لتطبيق الإسلام تطبيقاً عملياً تستقيم به شئون الحياة الدنيوية والأخروية ، ويتضح من الانذارات التي وجهها خليفة المهدي إلى خديوي مصر وإلى السلطان العثماني والمملكة فكتوريا أن الحركة المهدية كانت تهدف إلى تحقيق وحدة وادي النيل على أساس العقيدة الإسلامية ، وتعتبر هذه الوحدة خطوة تمهيدية نحو الوحدة الإسلامية العالمية . ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن الشعب السوداني — على اختلاف طوائفه الدينية — مازال ينظر إلى وحدة وادي النيل من هذه الزاوية وهذا ما يفسر لنا امتناع الغالبية العظمى من أهل السودان حينما كانوا يسمعون سياسة مصر في العهد البائد يتحدثون عن وحدة الوادي تحت التاج المصري فلا تقابل أحاديثهم في السودان إلا بسخرية مريرة ثم عن إدراك السودانيين العميق لحقيقة ما كان يعنيه أولئك السياسة من حديثهم عن الوحدة . وإن أسوأ دعاية روج لها سياسة مصر ضد وحدة الوادي هي تلك الحياة المترفة العائشة التي انفمسا فيها وذلك الفساد المزري الذي استفسرى في كافة مرافق الحياة المصرية تحت رعاية السياسة وبفضل تشجيعهم . ومما هو جدير بالذكر أن داعية من كبار الدعاة الإسلاميين زار السودان وتحدث إلى من كانوا يسمون في ذلك الوقت بالانفصاليين والاتحاديين وأبان للفريقين في قوة وصراحة الأسس التي وضعها الإسلام لتقوم عليها وحدة الأمم والشعوب ، وأبان كيف ينبغي أن تقوم الوحدة بين جنوب الوادي وشماله على أساس العقيدة المشتركة قبل أن تقوم على أساس المزايف المتبادلة وأن الوحدة بين شطري الوادي ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة لتحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة وخطوة ممهدة لها .

ويبدو أن الحقيقة التي انطوى عليها هذا التفسير لوحدة الوادي كانت أقوى من أن يثبت أمامها ذلك الحاجز الوهمي الذي يقسم الشعب السوداني المسلم إلى انفصاليين أو اتحاديين ؛ وإذا بالاتحاديين والانفصاليين — بعد سماع هذا الحديث — يصبحان من أكثر الناس حماساً وتأييداً لوحدة الوادي مادامت قائمة على أساس إسلامي واضح . ولعل في هذه القصة درساً نافعا لسياسة الشعوب الإسلامية وقادتها من الذين مازالت نفوسهم تهفو إلى وحدة مصطنعة بين الشعوب الإسلامية قوامها المصالح المعتبرة (٣) .

(١) نفس المصدر : ص ٢٣٨

(٢) نفس المصدر ص ٢٦٠

(٣) الأستاذ محمد الحير عبد القادر كاتب هذا البحث من أبناء السودان

في أفق عالم الإسلام

السودان

من النعم التي يسديها الله عز وجل للمسلمين بين الحين والحين ما يكون جزاء منه لهم على طاعة تقدمت منهم فاستحقوا عليها تلك النعمة . أو تكون امتحاناً لهم حتى إذا أحسنوا الشكر عليها بحسن استعمالها أدام الله بركاتها عليهم ، أما إذا كفرُوا بنعمة الله باستعمالها في غير مرضاته فقد مضت سنته بأن يسلبها منهم ويحرمهم ثمراتها وبركاتهما .

وقد أتم الله على وادي النيل وأهله في أواخر هذا الشهر (٢٧ جادى الأول ١٣٧٢ — ١٢ فبراير ١٩٥٣) نعمة من نعمه الكثيرة المتواصلة ، فانفتحت الحكومتان المصرية والبريطانية على تصفية الإدارة الحاضرة في السودان وإنهاءها فعلياً في خلال ثلاث سنين تسمى (فترة الانتقال) وفي نهايتها يصدر البرلمان السوداني قراراً يعرب فيه عن رغبته في اتخاذ التدابير للشروع في تقرير مصيره ، وحينئذ تأخذ القوات المصرية والبريطانية في الانسحاب من جميع السودان فور صدور ذلك القرار ، في مدة لا تتعدى ثلاثة أشهر ، ثم تقوم الجمعية التأسيسية بتقرير مصير السودان بوصفه وحدة لا تتجزأ ، كما تقوم بإعداد دستور جديد للسودان يتواءم مع القرار الذي يتخذ في هذا الصدد ، وتسن معه قانوناً لانتخاب برلمان سوداني دائم .

وسيتقرر مصير السودان إما بأن تختار الجمعية التأسيسية ارتباط السودان بمصر على أية صورة ، أو باختيار الجمعية التأسيسية الاستقلال التام . وقد تمهدت الحكومتان المصرية والبريطانية من الآن باحترام قرار الجمعية التأسيسية فيما يتعلق بمستقبل السودان ، وستقوم كل منهما باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار .

أما فترة الانتقال التي قدرت ثلاث سنوات والتي يعهد فيها لتصفية الإدارة الحاضرة ، فيستحفظ فيها بسيادة السودان للسودانيين حتى يتم لهم تقرير مصيرهم بإرادتهم واختيارهم . وقد نصت الاتفاقية على تفاصيل ذلك وعينت لتنفيذه لجاناً مختلفة من السودانيين والمصريين والبريطانيين وفي إحدى هذه اللجان عضو باكستاني ، وفي لجنة أخرى عضو هندي ، وفي لجنة ثالثة عضو أمريكي . وانفتحت الحكومتان على أن لا يمارس الحاكم العام سلطاته في السنوات الثلاث على أية صورة تتعارض مع المبدأ الأساسي للسياسة المشتركة للحكومتين في الاحتفاظ بوحدة السودان بوصفه إقليماً واحداً .

إن هذا الحادث التاريخي من أعظم ما وفق الله له هذا العهد الجديد في مصر ، وهو بلا ريب انتصار للأخلاق ، ثم هو مكافأة من الله للسودانيين على اتحاد كلمتهم بعد اختلافها ، واجتماع أحرارهم بعد افتراقها ، واستجابة السودان كله — شماله وجنوبه — لنداء الأخلاق الذي هتف بهم من مصر بأن هموا يعمل للصحة العامة وحدها لا يفرقنا في سبيلها غرض ، ولا شهوة ، ولا مأرب .

وهذا الحادث التاريخي لا يقل أهمية في تاريخ الإسلام الحديث عن ولادة الدولتين الإسلاميتين العظيمتين باكستان وأندونيسيا ، ولا عن جلاء القوات الفرنسية عن الجمهوريتين الشقيقتين سوريا

ولبنان . ولما عرف سكان وادي النيل بعد تمام هذه النعمة عليهم كيف يشكرون الله عليها بالمحافظة على اتحادهم في كل ما يرضى الله ، وعلى إثبات المصلحة العامة في كل شيء فلا يشوبونها بأرب أو غرض أو شهوة ، فإن ذلك يصكون من علامات شكرهم لله عز وجل على هذه النعمة ؛ وبالعكر تدوم النعم .

إن السنوات الثلاثة قصيرة في أعمار الأمم ، وهي تمضي كلبح بالبصر ، وسيفتح الله على السودان طريقاً جديداً يمشون فيه إلى الأمام ، فإذا علموا الله من الآن على أنهم سيمتدحون بذلك مرضاته ، وإحياء سنن أسلاف هذه الأمة في أخلاقهم وفضائلهم وأساليبهم ، فلا يبعد أن يكون ذلك بداية عهد جديد لا في تاريخ السودان وحسب ، بل في تاريخ إفريقيا كلها ؛ ومن يمش يـ .

المؤتمر الإسلامي

ترتبط شعوب المسلمين بروابط شتى في دينهم ودينامهم ، وكل فئة ترتبط ببعض الروابط لا بد لها من التناجي فيما تتعاون عليه من روابطها ، وما ينبغي لها أن تنظمه من أمورها . وإن مؤتمر الشعوب الإسلامية الذي انعقد في شهر مايو من العام الماضي في عاصمة الدولة الإسلامية الشقيقة باكستان كانت النية معقودة قبل ذلك على أن يدعى رجاله إلى عقده في القاهرة ، لكن الظروف المهيئة التي وقعت على مصر في بداية السنة الماضية ، لم تترك متسعاً أمامها لتحقيق ذلك الأمل فعدل القائمون بالمؤتمر إلى عقده في كراتشي على ما يعلم القراء ، والمؤتمر شعبي يهدف إلى التعارف والتعاون على النهوض بمستوى المسلمين إلى الدرجة التي تليق بهم وتساعد حكوماتهم على المضي في مهمتها ، وتسدد خطواتهم نحو حياة هنيئة طيبة تفيد الخير وتدافع عن الحق وتتعاون مع كل من يتعاون معها على ذلك . وإن الفرصة سانحة الآن أمام المسلمين ليصلحوا ما أفسده الدهر من كياناتهم ، وليحيوا ما أماته الجمل من سننهم وفضائلهم ، وليسلحوا أبناء اليوم ورجال القدر والثقافة النافعة التي تتلام مع أهدافهم ، ويكمل بها آخرهم ما بدأ به أولهم .

ولما كان العالم الإسلامي مترام الأطراف ، وقد يفيض في بعض أنحائه ما ينقص أنحائه الأخرى من نعم الله ومواهبه بحيث يكمل بعضه بعضاً ، فسيكون من أهم ما يتناجى به رجال المؤتمر تعاون الأقطار الإسلامية بعضها مع بعض في مادياتها ومعنوياتها عملاً بالحكمة المأثورة : الناس بخير ما تعاونوا .

إن التعارف هو سبيل التعاون ، والتعاون هو سبيل الأحياء العاملين على تنظيم كياناتهم ومعالجة ضعفه وتحري القوة والعافية له بالذاكرة والمشاورة والدرس والبحث والتفكير والتقرير ، وهذا ما ينتظر من المؤتمر الإسلامي المنعقد في القاهرة هذا العام إن شاء الله ، وسيكون حديثنا عنه أوسع وأشمل عندما ندنو منه ؛ وكل آت قريب إن شاء الله .

مذبحة الدار البيضاء

وأخيراً أفلت زمام التعقل من يد الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا ، فتطوأت الخلية الفرنسية في الدار البيضاء مع الإطاحة الفرنسية العامة على إحداث مذبحة في تلك المدينة المراكشية في أواخر الأسبوع الأول من ديسمبر وأوائل الأسبوع الثاني منه كانت فضيحة الفضائح للاستعمار حتى عند ذوى المسكنة من الفرنسيين في باريس ، لأن عدد القتلى في هذه الجزيرة الخيرية زاد على ألف قتيل ، ولو أن عصر هذا العدد من القتلى وقع لليهود أو للأرمن في أي بلد من البلاد في ظروف مثل هذه الظروف لغامت قيامة الأمم والدول لاستنكاراً لهذه الفضيحة . أما عقلاء الفرنسيين في باريس الذين

آلمهم أن يملطخ اسم أمتهم بهذا الحادث ، فقد عقدوا اجتماعاً عظيماً في (دار المثقفين الكاثوليك) عندما بلغهم الخبر في أول فبراير وحضر هذا الاجتماع مئات من الساسة والصحفيين وأساتذة الجامعات وطلابها . ورأس الاجتماع الكاتب الفرنسي الشهير « مسيو فرانسوا موريالك » وخطب خطبة مسببة طالب فيها بوجوب إعلان الفرنسيين لحقيقة هذه الفضيحة مهما كان ثمنها فادحاً .

وخطب بعده « مسيو أندريه دوبرتي » المستشار السابق للاتحاد الفرنسي فقال : « إنه لم يبق في شمال إفريقيا نتيجة لسياسة فرنسا الغاشمة سوى الخوف والعنصرية والحقد » وقال : « إن أفراد الجالية الفرنسية في شمال إفريقيا يعيشون الآن في عزلة عن فرنسا التي أصبحت لا تهتم في شيء . كما أنهم يعيشون في عزلة عن المغاربة أصحاب البلاد الذين لا يرون فيهم إلا أداة للاستغلال » . وخطب « مسيو بيير كورفال » - وهو أيضاً مستشار سابق للاتحاد الفرنسي - فأفاض في استنكار السياسة الفرنسية في المغرب وشمال إفريقيا .

وتلاه « مسيو روبر بارا » سكرتير جمعية المثقفين الكاثوليك فقدم للمجتمعين ملفاً يضم وثائق خطيرة لا تدع مجالاً للشك في أن الجالية الفرنسية هي التي دبرت مجزرة الدار البيضاء بالتعاون مع الإقامة الفرنسية . ثم ذكر كيف داهم الجيش الفرنسي المدجج بالسلاح دار نقابة العمال بمدينة الدار البيضاء ، وكيف تمت المأساة التي دبرها الفرنسيون في حي العمال حينها هاجموا في الساعة العاشرة ليلاً وقال : إنهم استخدموا بمد ذلك فرقاً من رجال المطافئ لغسل الشوارع من الدماء الغزيرة التي خضبتها ، اطمس معالم الجريمة ...

وخطب الأب فيوم الذي عاش خمسة عشر عاماً في المغرب كما خطب « مسيو شارل أندريه جوليان » أحد أساتذة جامعة السوربون ، « والمسبو فرانسوا ميتران » الوزير الفرنسي السابق ، وكلهم نددوا في خطبهم بالاستعمار الفرنسي ومساوئه وأساليبه . ثم قرروا في نهاية الاجتماع تقديم طلب إلى الحكومة الفرنسية يلحون فيه بضرورة فتح تحقيق نزيه عن حوادث الدار البيضاء الدامية . ولا ندرى ما يكون موقف البرلمان الفرنسي من هذه الفضائح . والعجيب أن تقف المفاوضات والقنصليات الأجنبية موقف المنفرج أمام هذه الجرائم الإنسانية الفاضحة ...

أخبار متفرقة

● تعد الأعاصير التي هبت على أوروبا الشمالية الغربية أخيراً أعظم الكوارث الطبيعية منذ خمسة قرون ؛ فقد انهارت السدود الصناعية التي أقيمت في سواحل خمس دول أوروبية وفي مقدمتها هولندا وإنجلترا الشرقية فافتحمت لجج البحر الأراضي الواطئة التي عمرت وزرعت بحماية تلك السدود ، وبانهيارها غرقت الموانئ والحقول ، وأودى الفرق بحياة الألوف وتضررت مئات الألوف من المنكوبين تعاني الفقر والفاقة والعري والحرمان من مقومات الحياة .

● اجتاحت السيول والأمطار الغزيرة التي هطلت في القهر الماضي خيام اللاجئين الفلسطينيين في أكثر المناطق اللبنانية والأردنية .

● تمت صفقة بيع تملك فيها دير اللاتين في القسم العربي من القدس أرضاً واسعة قرر أن ينشئ عليها كنيسة كبيرة . ولهذا الدير الذي يستمد أمواله من دول أجنبية عدد من الكنائس وممتلكات كثيرة في مدينة القدس .

- اجتمع المارشال تيتو لمدة ساعتين بسبعة من رجال الكنيسة الكاثوليكية في يوغوسلافيا وعلى رأسهم رئيس أساقفة بلغراد . والمعتد أن المارشال يحاول تحسين العلاقات بين « الكنيسة » و « الدولة » على أثر قطع علاقاته مع الفاتيكان .
- أعلنت المنظمة الصهيونية الأمريكية أنه يسرها أن تأخذ على عاتقها تنفيذ عملية هجرة يهودية ضخمة من دول شرق أوروبا الشيوعية إذا وافقت هذه الدول .
- أصدرت هيئة « الوحدة الأوروبية » في برلين وهي هيئة المانية وطنية تدعو إلى وحدة المانيا — كتبياً باللغة الألمانية أهابت فيه بالشعب الألماني عامة وبأعضاء البرلمان بصفة خاصة أن يقاوموا التصديق على التعويضات لإسرائيل ، ودعت الجميع إلى تناسي خلافاتهم الحزبية لمقاومة استقلال إسرائيل للشعب الألماني الذي لا يزال يعاني آثار الحرب الماضية .
- من أسرار وزارة الخارجية الفرنسية أن وزيرها شومان كان قد زار البابا ورجاه أن يتدخل لدى دول أمريكا الجنوبية لكي تصوت لصالح فرنسا في قضايا الشمال الإفريقي في الدورة الأخيرة للام المتحدة ؛ وذلك هو السر في تحول موقف هذه الدول من جانب الكتلة العربية الأسبوية إلى جانب الدول الاستعمارية .
- منحت لجنة الأمن المشترك الأمريكية فرنسا مبلغ ١٠٠ مليون دولار وبذلك يبلغ ما تسلمته فرنسا من هذه الإدارة منذ شهر يوليو ٢٠٠ مليون دولار .
- منحت الحكومة الفرنسية الجنرال فؤاد شهاب القائد الأعلى للجيش اللبناني والعقيد توفيق سالم رئيس أركان حرب الجيش اللبناني وسام « الليجيون دونور » من طبقتي قائد وضابط .
- وقعت تركيا مع شركة أمريكية إتفاقاً لإنشاء مصانع لتكرير البترول في تركيا . تكلف أكثر من ٧ ملايين دولار .
- قامت في الجمهورية التركية في السنوات الأخيرة حركات إسلامية كان يقدر لها نجاح كبير غير أن هذه الحركات كبتت مؤخراً بشدة ويمتقد أن توسع النفوذ الأمريكي في تركيا سبب رئيسي في ذلك .
- اتفقت إيران مع شركات البترول الإيطالية على أن تورد لها البترول الإيراني الخام وتحصل في مقابله على آلات ميكانيكية وبضائع وسيارات وأقمشة حريرية وقطنية ومعدات السكك الحديدية والأدوات الكهربائية . وقد أعلن رسمياً أن الولايات المتحدة حذرت الحكومة الإيطالية من أنها ستفقد حقها في كل معونة أمريكية إذا باعت الزيت الإيراني إلى دولة شيوعية .
- جاء في الكلمة التي ألقاها الرئيس محمد نجيب على ضريح الإمام الشهيد في يوم ذكراه : « لم تكن الفجيرة فيه فجيرة جماعة ولا فجيرة طائفة ولكنها كانت فجيرة أمة ، بل أمة غزا قلوبها وجمع على الأخوة أرواحها » . وفي معرض كلامه عن الجيل الذي رباه حسن البنا قال : « ولست أنسى ما حييت هذا الشباب المؤمن القوي في معارك فلسطين يقتحم على العدو أقوى الحصون ، ويسلك إلى قتاله أعصى السبل ، ويترس بقوانه وجحافل كل طريق ، ويحتمل في ذلك من المشاق والصعاب ما لا يستطيع احتماله إلا من امتلأت نفسه بمغظمة الأحاد الخالد ووجد قلبه حلاوة الإيمان » .
- عاد رئيس تحرير « المسلمون » إلى كراتشي قادماً من أندونيسيا يوم ١٥ فبراير للانضمام إلى الوفد الصحفي الذي سافر من مصر ممثلاً لأمهات دور الصحافة فيها بدعوة من الحكومة الباكستانية . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات هذا العدد

صفحة	
١	هذا القرآن ... لفضيلة الأستاذ حسن الحضيبي
٥	قصص القرآن : آدم عليه السلام ... للأستاذ البهي الحولي
١١	السنة ... لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباهي
١٥	من علوم السنة ... لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا
١٨	الربا ... لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة
٢٨	مثل الإنسانية الأعلى ... لأبي نعمان المهاجر
٣١	طبيعة المجتمع الإسلامي ... للأستاذ سيد قطب
٣٨	خاطرة : عبقرية إبليس ... للتحرير
٣٩	من فقه الفرائض والسنة : منهج وتطبيق : ... للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
٤٤	رسالة لم تنشر : ... للأمير شكيب أرسلان
٥٣	التشريع الجنائي الإسلامي ... للأستاذ عبد القادر موده
٥٧	أيها المحققون : ...
٦٢	إذا هبت ريح الإيمان ... لساحة السيد أبي الحسن الندوي
٦٥	في الإسماعيلية : ... للإمام الشهيد حسن البنا
٧٠	ندوتنا ... للتحرير
٧٤	سيرة المفائدة والربا ... للأستاذ محمود أبو السعود
٧٨	نريد لإيران نهضة ربانية سافرة ... للتحرير
٨٢	سبعيات فسكر ... للأستاذ الدكتور عبد الوهاب هزام
٨٤	باب الكتب : نقد وتعريف ...
٨٨	الطب عند القدماء ... للأمير لاي الدكتور أحمد الناقة
٩٣	مسألة ... « شعر » ... للأستاذ محمود حسن إسماعيل
٩٦	للسودان المسلم ... للأستاذ محمد الحير عبد القادر
١٠٠	في أفق العالم الإسلامي ...
١٠٤	الفهرس ...